روائع المسرح العالمى
٢٤

القرد الكثيف الشعر

تأليف
يوجين أونيل

ترجمة
جلال العشرى

مراجعة
حسن محمود

تقديم
الدكتور رشاد رشدى

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

هذه ترجمة مسرحية

القرد الكثيف الشعر

تأليف

يوجين أونيل

THE HAIRY APE

By

EUGENE O'NEILL

مقدمة

بقلم : الدكتور رشاد رشدى

فى العقد الثانى من القرن العشرين بدأت فى الولايات المتحدة موجة اهتمام بالأدب المسرحى شملت الجمهور والكتاب والنقاد على السواء ، ونحن نتجاوز الحقيقة إذا سمينا هذه الحركة نهضة وإنما هى أشبه ما يكون بالبعث . فالمحاولات التى سبقت هذه الفترة محاولات بدائية لا تحظى اليوم بالاهتمام إلا من جانب مؤرخى الأدب .

وأوجين أونيل هو باعث هذه النهضة ورائدها . وبالرغم من أن مجال المسرح الأمريكى منذ ذلك الحين يتألق بأسماء لامعة من كبار الكتاب المسرحيين ، لم يستطع أحد من الكتاب الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده أن

يحتل المكانة التى احتلها أونيل بجدارة فى المسرح الأمريكى. وفى ١٩٢٠ فاز بجائزة (بلتزر) بعد عرض مسرحيته « خلف الأفق » ثم خرج من النطاق المسرحى المحلى إلى النطاق العالمى ، فقدمت مسرحياته على المسارح الأوربية ونال جائزة نوبل سنة ١٩٣٦ .

ويشبه أونيل معاصريه من كتاب المسرح الجادين فى اهتمامهم بالمشاكل المعاصرة ، وبضيقهم بالواقعية الجامدة ، وفى رغبتهم فى التعبير عن أفكار جديدة فى قوالب فنية جديدة ، ولكنه يتميز عنهم بأن المشاكل التى شغلته مشاكل حيوية وأساسية للإنسان فى كل مكان ، وأن تعبيره عن هذه الأفكار انفرد بالابتكار ، كما أنه أيضاً لم يكف أبدا عن الرغبة فى التجديد ، وفى أن يقول شيئاً جديداً فى صورة جديدة . فكتاباته بأكملها ليست إلا سلسلة من التجارب المسرحية ، ولم يرتض أونيل بالقيود التقليدية للمسرح فى عصره ، وحاول أن يأتى بالجديد ، واختلف أسلوبه من مسرحية إلى مسرحية اختلافاً بينا ، فاستخدم الأسلوب الواقعى والتعبيرى

والانطباعى ومزيجاً من هذه الأساليب ، كما انتقل من ذلك إلى استخدام الأقنعة والكورس .

وعندما بدأ أونيل يقدم للمسرح كتاباته ، كان قد مضى على موت إبسن عشر سنوات ، وكانت أوروبا كلها قد اعترفت به أباً للدراما الحديثـة قبل ذلك بمدة طويلة .

وبالرغم من أن أونيل لا يمكن أن يقارن بإبسن من حيث القـدرة المسرحية إلا أنه قد أحدث تغيرا هاماً فى الاتجاه الذى بدأه إبسن ، واعتنقه كل كتاب المسرح فى أوربا ؛ هذا الاتجاه الذى أسبغ على الدراما الحديثة صـفات مميزة تنفرد بها عن الدراما الكلاسيكية .

وكان على أونيل أن يختار بين اتجاهين ، الاتجاه الذى ابتدعه إبسن وميز الدراما الحديثة ، والاتجاه الذى يتجلى فى الدراما التقليدية كما كتبها سوفوكليس وموليير وشكسبير : بين الدراما الثورية التى تجعل تغيير العالم هدفها الوحيد والأصل فى وجودها ، وبين الدراما

الكلاسيكية التى تعتبر المسرحية فناً قد يغير العالم ولكن هذا التغير ليس الأصل فى وجوده .

واكتشف أونيل خلال أعماله الفنية أن نظرته إلى الإنسان تختلف عن نظرة كتاب الدراما الحديثة إليه . فبينما يؤمن كتاب الدراما الحديثة أن الإنسان ليس إلا ضحية لماضيه أو لبيئته أو للمجتمع الذى يعيش فيه ، وأن هذا الوضع يجعله مسيراً لا مخير ، يؤمن أونيل بأن الإنسان حر فى الاختيار ، وأنه يستطيع أن يتحكم فى مصيره . وحدد هذا الإيمان اختياره ، ومن هنا جاء انصرافه إلى محاولة كتابة التراچيديا . إذ أن بطل التراچيديا لا يحرك مشاعرنا لأنه ضحية ، بل لأنه إنسان مسئول اختار طريقه ، وتحمل تبعة هذا الاختيار .

والصراع فى مسرح أونيل ليس صراعا بين الإنسان والقدر ، ولا بين الإنسان والمجتمع ، وإنما هو صراع بين الإنسان ونفسه ؛ والموقف التراچيدى بالتالى ينشب داخل النفس البشرية ، وقد يتبلور كما حدث فى المسرحية التى نعرض لها فى ظروف خارجية ، ولكنه يبقى فى

أساسه صراعاً نفسياً . ومأساة الإنسان الحديث فى رأى أونيل إنما تكمن فى تخليه عن حقيقته الفردية ، وفى محاولة خلق صورة وهمية لذاته تتفق مع ما يتوقعه المجتمع منه ، وفى تصرفه وفقاً لهذه الصورة الوهمية ؛ يقول أونيل فى مقدمة إحدى مسرحياته :

« ينبغى أن يمنحنا المسرح ذلك المعنى الذى لم يعد فى طاقة الكنيسة أن تمنحنا إياه ، وإذا كنا اليوم نفتقد الآلهة والأبطال لنصورهم ، فإن لدينا العقل الباطن وهو الأصل فى كل الآلهة والأبطال » .

ومظاهر العقل الباطن هى القدر بالنسبة لأونيل ، والصراع هو صراع الوعى ضد اللاوعى . وهو صراع ينطوى على مأساة ، إذ لا يمكن أن تحرز إحدى هاتين القوتين على الأخرى نصراً كاملا شاملا دون أن يفضى ذلك إلى الموت أو الجنون . والصراع بين الوعى واللاوعى ليس هو فى الحقيقة إلا الصراع بين الصورة الوهمية للذات والصورة الحقيقية .

وإذا كان الصراع الأساسى فى حياة الإنسان هو صراعه

مع عقله الباطن ، فمعرفة النفس هى نقطة البدء فى هذه المعركة ، وهى المعرفة التى لا يمكن بدونها أن نتحكم فى هذا الصراع وأن نوجهه وجهة نافعة . ولكن هذه المعرفة تأتى فى مأساة أونيل بعد أن يفوت الأوان ، وهى تكلف الإنسان حياته أو سعادته .

وكل بطل من أبطال أونيل يقضى حياته بحثا وراء هذه المعرفة ، وهو فى خلال ذلك يسعى إلى الانتماء إلى قوة أكبر منه ، قوة خارج وجوده . ولكنه لا يستطيع أن يحقق هذا الانتماء ما لم يتصالح مع نفسه ويصل إلى أعماق اللاوعى ويجد صورة النفس الحقيقية التى تعطى لحياته اتجاها ومعنى ، وإذذاك فقط يمكن أن ينتمى .

ولكى يجد هذه الصورة الحقيقية لا بد له من أن يفهم أعماقه ، والحائل الذى يحول بينه وبين هذا الفهم هو « الأنا » الواعية التى تدرك قصورها ، ولا تستطيع أن تتجاوز هذا القصور لتقيم لنفسها صورة مثالية . والتغلب على هذا الحائل يقتضى التضحية أو الموت كما حدث فى مسرحية « القرد الكثيف الشعر » .

وقد كتب أونيل قصة « القرد الكثيف الشعر » أول ما كتبها كقصة قصيرة ، وجاءت نتيجة لتجربة شخصية مر بها وهو يطوف بالبحار .

وكان قد تعرف على « دريسكول » أحد الوقادين الذين يعملون فى سفينة من عابرات المحيط ، وبعد مدة قصيرة من تعرفه عليه سمع نبأ انتحاره ، إذ ألقى بنفسه من على سطح السفينة إلى جوف المحيط .

وأثار انتحار دريسكول خيال أونيل . لماذا ينتحر مثل هذا الشخص الذى تميز بتفوقه البدنى ، والذى كان يعيش فى ظل انسجام تام مع فكرته المحدودة عن العالم . وكانت الإجابة على هذا السؤال هى الخطوة الأولى فى كتابة قصة « القرد الكثيف الشعر » .

وفى القصة القصيرة جعل أونيل هذا الانتحار نتيجة لبحث فاشل عن النفس . وهى الفكرة نفسها التى استخدمها فى المسرحية والتى تتضح فى كل سطر من سطور الحوار وفى كل تطور من تطورات الحدث .

والمسرحية تبدأ و« يانك » الوقاد على إحدى السفن

عابرة البحار ينتمى لعالمه انتماءً تاما . فهو ينتمى لبقية الرجال حتى من ناحية الشبه الجثمانى « فلهم جميعاً صدور كثيفة الشعر ، وأذرع طويلة خارقة القوة ، وحواجب منخفضة متباعدة تعلو عيونهم الصغيرة الشرسة المتبرمة . ولقد تمثلت فيهم كل الأجناس البيضاء المتحضرة . ولكن فيما عدا الاختلافات الطفيفة فى لون الشعر والجلد والعينين نجد أن جميع هؤلاء الرجال متشابهون » .

والبطل « يانك » لا يشبههم فحسب ، بل يفوقهم ، فهو أشد بنيانا وقوة وأعظم ثقة بالنفس من الآخرين . وبقية البحارة يحترمون قوته ويخشون بأسه بل إنه يمثل بالنسبة إليهم غاية ما يمكن أن يصل إليه أحدهم من تطور فردى .

و « يانك » يرى نفسه كما يراه الآخرون ، وصورته عن نفسه هى صورة الآخرين عن أنفسهم ، بل هى خير من هذه الصورة بكثير . فهو راض عن هذه الصورة وعن حياته بأكملها ، ولا شىء ينغص هذه الحياة .

ورغم أن المؤلف يوحى بأن مكان نوم البحارة ليس أكثر من سجن حين يقول : « ويجب ألا تكون معالجة هذا

المنظر ولا أى منظر آخر فى المسرحية معالجة طبيعية ، فإن التأثير المطلوب هو تأثير مكان مزدحم فى جوف السفينة محاط بالصلب الأبيض وصفوف الأسرة والأعمدة التى تحملها يقاطع كل منهما الآخر فيما يشبه هيكل القفص الحديدى » . فإن « يانك » يحب هذا المكان وينتمى إليه ويعتبره فى كثير من الفخر بيته . وهو لا يعرف ذلك الحنين إلى البيت والحب وإلى الحياة المتجددة الذى يعكر على بعض الرجال صفوهم ويعبر عنه البحار الايرلندى العجوز « پادى » لأن ذلك الحنين بالنسبة إليه شىء انقضى ومات ، وهو لا يعيش فى الماضى وإنما فى الحاضر ، وهو فخور بحاضره ، فهو القوة التى تحرك السفينة وتحرك العالم الحديث بأجمعه :

« أنا الدخان والقطار السريع والباخرة وصفارة المصنع ، أنا من يجعل الذهب نقودا ، أنا من يحيل الحديد إلى صلب ، الصلب ، الذى هو أساس كل شىء ، أنا الصلب ، الصلب ، الصلب الصلب ، أنا العضلات التى فى الصلب . أنا كل ما فيه من قوة . عبيد ! يا للهول !

إننا ندير كل المصانع ، وكل الأغنياء الذين يظنون أنهم شيء هم ليسوا فى الواقع شيئاً ، إنهم لا ينتمون إلى شيء ، أما نحن الرجال فنحن نتقدم ، إننا فى القاع ولكننا الكل فى الكل » .

ولكن هذه الصورة المثالية للنفس لا تلبث أن تتحطم ، تحطمها « ميلدرد » فتاة شاحبة مكبوتة بنت مدير إحدى شركات الصلب . وهى من فتيات المجتمع التافهات ، تعيش بلا هدف ، وتقنع نفسها فى الوقت ذاته بأنها باشتراكها فى الأعمال الاجتماعية إنما ترفع من مستوى الطبقات الكادحة . وهى تنزل إلى فتحة الفرن لتكتسب تجربة جديدة .

وعندما يقع نظر ملدرد على « يانك » وهو فى حالة من حالات الهياج تتراجع فى رعب وتصرخ « خذوه بعيدا ، ذلك الوحش القذر » ثم يغمى عليها ، وتكون هذه نقطة التحول فى حياة يانك .

ويعلق « پادى » العجوز على هذه المقابلة فيقول : « طبعا وكأنها رأت قرداً كثيف الشعر أفلت من حديقة الحيوان » .

وبعد هذا اللقاء يفقد « يانك » الشعور بالانتماء ، ويشعر وكأن كل شيء قد تحطم فجأة وبلا سبب ، فإدراكه الضعيف للأمور أبسط من أن يتبين السبب ، فميلدرد قد أصابته فى الصميم ، فقد حطمت الصورة المثالية التى تجعل لحياته اتجاها ومعنى . فقلت منابع الثقة فى نفسه والفخر بالمهمة التى يؤديها . ومهما حاول الآن ، ومهما تشدق بالكلام فلن يستطيع أبدا أن يستعيد هذه الصورة ، فهو فى أعماقه الآن يتصور نفسه على مثل هذه الصورة التى رسمتها له « ميلدرد » : وهذه الصورة الجديدة التى يرى نفسه فى ظلها لا تنبع من شعور بالقوة وإنما عن شعور بالقصور . والضخامة البدنية التى كانت من قبل مدعاة لفخره ، تربطه اليوم بالحيوان ، بالجسد ذاته لا بالقوة التى يحتويها هذا الجسد . وهذه القوة التى كان « يانك » يوجهها فى ظل الصورة المثالية للخلق والإبداع ، والتى كان يعتبرها أصلا لكل شيء ، سيوجهها بعد أن انهارت هذه الصورة المثالية للتخريب ، لتخريب كل شيء .

وحين حطمت « ميلدرد » الصورة المثالية التى كانت تسبغ الكرامة على هذا الجسد الضخم والعقل الضعيف الذى يحتويه أصبح الجسد رمزاً للنفس وبالتالى سجناً لها .

ومنذ تلك اللحظة يكرس « يانك » حياته لاستعادة صورته المثالية ، لكى يرى نفسه من جديد إنسانا ينتمى إلى بقية البشر ، إنساناً له كرامته الإنسانية ، كرامة البطل ؛ وكلما تضاعفت محاولاته كلما أدرك قصوره ، فعقله الواعى لا يسعفه ، بل يقف حائلاً بينه وبين التحرر من سجنه ، فهو لا يستطيع أن يدرك أن العلة فى ذاته وليست خارج هذه الذات .

وهو يلجأ أولا إلى الانتقام ، ظنا منه بأن الانتقام يمكن أن يعيد له احترامه لنفسه ، وهو الآن لا يملك شيئاً سوى هذه القوة البدنية ، بعد أن تجردت القوة البدنية من الصورة المثالية . ولذلك ينطلق مستخدما هذه القوة فى الانتقام . وهو يبحث عن «ميلدرد» ليبصق فى وجهها ولكن الحراس يحيطونها ، ويحولون بينه وبينها . وعند ما يعجز عن إهانتها شخصيا يسعى إلى إهانة الطبقة التى تنتمى إليها ،

أى فرد من أفراد هذه الطبقة . فهذه الفتاة التى بدت له فى بادئ الأمر كالشبح ، وكأنها غير حقيقية ، أصبحت هى والطبقة التى تمثلها الحقيقة التى تتملكه . وأفراد هذه الطبقة التى كان يكن لها الاحتقار ، ويعتقد أنه كمحرك للحضارة الأصل فى وجودهم أحالوا حياته إلى جحيم . ويذهب مع أحد زملائه إلى الشارع الخامس فى نيويورك ، ويتحرش بالمارة من أفراد الطبقة الراقية ، ولكنهم يحرمونه حتى لذة هذا التحرش . فهم يمرون به وكأنه غير موجود ، ويتجاهلون عبارات السباب وكأنه لم يتفوه بها . وأخيرا يعتدى على أحدهم وهو يصرخ «أنا الصلب وأنا البخار والدخان وكل شىء . . . » وهو يحاول أن يثبت لنفسه أنه هو هو لم يتغير ، وأن فكرته عن نفسه هى الفكرة نفسها ، وأنه ليس « يانك » الحيوان بل « يانك » الذى يحرك العالم الحديث .

ويجد نفسه فى السجن نتيجة لاعتدائه على المارة . بل هو فى سجن أمر من السجن ، فقد فقَد الإيمان فى نفسه ، والكلمات التى يرددها لم يعد لها صدى فى كيانه ؛ فهو

ليس بالصلب ولا البخار كما كان . بل هو القرد الكثيف الشعر كما رأته ميلدرد .

ومنذ البداية يستخدم الكاتب الصلب رمزاً فى مسرحيته ، فالصلب فى رأى « يانك » هو أساس المدنية ، وقوة الصلب هى قوته ، ومن ثم فهو محرك المدنية . ولكنه حين يفقد الصورة المثالية لا يلبث أن يفقد القوة التى تنبع من الصلب ، وتتحول هذه القوة إلى ميلدرد ابنة مدير اتحاد شركات الصلب ، التى تحيل الصلب إلى سجن ليانك ، ويتجسم هذا الرمز ويانك فى السجن وقضبان الصلب تحيط به حين يقول : « لا شك أن والدها العجوز . . رئيس اتحاد الصلب . . الذى ينتج نصف ما فى العالم من صلب ، الصلب الذى حسبت أنى أنتمى إليه . . يحبسنى هنا لتقضى على . يا للمسيح ! لقــد صنع هو هذا ، هذا القفص . الصلب !

وعند ما يبزغ هذا المعنى فى عقل « يانك » يتجه بكيانه إلى الرغبة فى التخريب ، تخريب كل ما يمثله الصلب ، وهو يحسب أنه بذلك يحطم سجنه المعنوى .

« قيدونى معه (أى الصلب) فى السارية ولكنى سأنخر

عبابه ، وأشعل النار حتى أصهره ! سأشعل النار — تحت الركام ، نار لا تنطفئ أبدا ، حارة كالجحيم ، تنفجر فى جنح الليل . . »

وإذ ذاك حين تنفجر القوة المدمرة فى « يانك » يتم التشابه بينه وبين القرد الكثيف الشعر ، إذ يتخلى تماما عن صورته المثالية . ويقول الكاتب فى الإرشادات المسرحية « وعند ما يصل « يانك » إلى كلمة « تنفجر » يمسك قضيبا بكلتا يديه ، ويضع قدميه إلى أعلى بإزاء القضبان الأخرى حتى يكون وضعه محاذيا للأرضية كأنه قرد » .

وحين يتعجب الحارس من قوته البدنية الخارقة التى مكنته من تحطيم أحد القضبان ويقول « لايقوى على ذلك إلا مارد قوى » ، يحدق فيه « يانك » ويقول « أو قرد كثيف الشعر » وفى هذه الجملة القصيرة المؤلمة يعلن يانك استسلامه بعد الكفاح المرير الذى مر به ، للصورة الوحيدة التى يعيها الآن صورة القرد ؛ القرد الكثيف الشعر .

ويسمع « يانك » فى السجن بوجود منظمة للعمال يتهمها المسئولون بالقيام بأعمال تخريبية فيسعى بعد إطلاق سراحه

للانضمام لها ، ويدخل « يانك » مكتب المنظمة متلصصا فيثير الشبهة من حوله ، ويشتبه السكرتير فى أنه عميل مأجور ضد المنظمة : ويكتشف « يانك » أنه أخطأ فهو يريد تخريب المجتمع والمنظمة تسعى إلى تغييره بالطرق السلمية .

ويسأله السكرتير مستدرجا إياه :

تقصد تغيير الفوارق الاجتماعية بالعمل الشرعى المباشر . . . أم بالديناميت .

يانك : بالديناميت ، بنسفها من على وجه الأرض .. الصلب . . كل الأقفاص . . وكل المصانع والبواخر والمبانى ، والسجون ، اتحاد الصلب ، وكل ما يجعلها تستمر .

ويطرد « يانك » بعد أن يتهمه السكرتير بأنه قرد غبى .

وبعد تلك التجربة الفاشلة يدرك « يانك » الحقيقة التى لم يدركها من قبل ، وهى أنه هو المسئول عن العذاب الذى يقاسيه ، لا ميلدرد ولا المجتمع .

ويأتى هذا الإدراك بعد طول عناء فذاته هى السجن الذى يحتويه ، والصلب الذى كأنه يوماً من الأيام أصبح

الآن قفصه ، وفى القفص تنحبس الأنا الواعية التى تشبه القرد الكثيف الشعر . ويصل « يانك » إلى هذه الحقيقة وهو ملقى على الأرض عقب طرده من منظمة العمال حين يقول مخاطباً نفسه مشيراً إلى ما يعذبه : « هذا الشىء فى أعماقك .. تحت فى القاع .. وأنت لا تستطيع أن تمسك به ولا أن توقفه ، وهو يتحرك فيحرك كل شىء ، وهو يتوقف فيتوقف العالم بأكمله . وهذا ما حدث لى الآن لم أعد أنبض بالحياة هكذا كان الصلب لى وكنت أملك العالم ولم أعد أنا الصلب وملكنى العالم » ...

وحيث أنه الآن لا يستطيع أن ينتمى للصلب أو صورته كقوة إنتاجية هامة ، ولا للمجتمع (للعالم) ، فلا بد له أن يستسلم الآن لقصوره ، للصورة التى رفض من قبل أن يتقبلها . لابد أن يستسلم لسجنه ، للصورة التى يرمز لها القرد والقفص الذى يحتوى هذا القرد . وإن لم يستطع أن يتقدم إلى الأمام فلا بد له أن يتقهقر إلى الوراء سعيا وراء الانتماء .

ولا ذنب له فى هذا القصور الذى يحول بينه وبين

استعادة صورته المثالية ، فهكذا وُلد ، وهو يقول للشرطى الذى وجده ملقى أمام مكتب المنظمة العمالية .

« حقا ، تسحبنى وتضعنى فى قفص ، هذا هو الجواب الوحيد الذى تعرفه ، هيا اسحبنى . . » .

الشرطى : ماذا كنت تفعل ؟

يانك : ما يكفى لكى أستحق الحياة ! لقد ولدت ، وهذه بالتأكيد هى تهمتى ، فاكتبها فى السجل ، ولدت ، أتفهمنى ؟ !

وتجتمع كل الخيوط الرمزية فى المنظر الأخير حين يخاطب « يانك » القرد وهو فى قفصه . فهو يجد نفسه ضائعاً بين الأرض والسماء ، وهو لا يستطيع أن ينتمى للناس الذين تقيم حياتهم الناحية الروحية ، ولا يستطيع أن يرضى عن نفسه كمجرد حيوان ، وهو بلا ماض يربطه بالحياة وبلا هدف يربطه بالحاضر ويتيح له الشعور بالأمن .

وهو يقول للقرد :

« إنك تستطيع أن تجلس وتحلم بالماضى ، والغابات

الخضر والأحراش وبقية هذه الأشياء . هنالك تستطيع أن تنتمى وهم لا يستطيعون ، هنالك تكون أنت الأصل وهم لا يكونون . هناك تستطيع أن تضحك منهم فأنت بطل العالم ، أما أنا فليس لى ماضى أفكر فيه ولا مستقبل أحلم به ، بل الحاضر فقط . . وهذا لا ينتمى . .

وفى البدء يحاول « يانك » أن يصافح القرد ، ثم ينتهى بأن يصارعه ويفتح الباب ويواجهه ويسقط « يانك » صريعاً ويفر القرد ، ويموت وهو حبيس قضبان من صلب هى قضبان النفس بعد أن سحقته الصورة التى لم يستطع أن يتحرر منها ، صورة القرد الكثيف الشعر .

وإذ ذاك فقط ينتمى « يانك » ، يتصالح القرد مع الصورة التى يراها لنفسه وينتهى بالتالى عذابه .

و« يانك » فى رأى أونيل ليس مجرد فرد ، بل هو رمز للإنسان ، ورغبته فى الانتماء ليست مجرد رغبة فردية بل هى مشكلة جماعية ، مشكلة الإنسان فى كل زمان ومكان . وقد عبر أونيل عن هذا المعنى فى خطاب

أرسل به سنة ١٩٢٤ إلى جريدة نيويورك هيرالد تريبيون قال فيه :

« إن القرد الكثيف الشعر إنما هو رمز للإنسان الذى فقد الشعور بالانتماء مع الطبيعة ، هذا الانتماء الذى كان يتمتع به قديماً كحيوان والذى لم يستطع بعد أن يكتسبه على مستوى روحى . وهكذا يجد الإنسان نفسه يقف فى الوسط بين الأرض والسماء ، منتقدا لهذا الشعور بالانتماء ، وهو يحاول أن يستعيد السلام ويتلقى طيلة محاولته ضربات من كل من الأرض والسماء ، وقد عبر « يانك » عن هذه الفكرة فى كلامه » .

ويستطرد أونيل قائلا :

« وقد رأى الناس فى « يانك » مجرد وقاد وليس رمزاً للإنسان ، والرمز يجعل المسرحية إما مسرحية هامة أو مسرحية عادية ككل المسرحيات . و« يانك » لا يستطيع أن يتقدم ، ولذلك يحاول أن يتقهقر وهذا معنى مصافحته للقرد ، ولكنه حتى فى تقهقره لا يستطيع أن ينتمى ، فقد قتله القرد . والموضوع هنا هو الموضوع القديم

نفسه الذى كان وسيكون دائماً موضوع الدراما الوحيد ، الإنسان فى صراعه مع قدره . وقد كان الصراع فى الأزمان الماضية مع الآلهة ، ولكنه الآن صراع الإنسان مع نفسه ، مع ماضيه ، ومع محاولته للانتماء ؟

رشاد رشدى

شخصيات المسرحية

☆ ☆ ☆

روبرت سميث
بـــادي
لـــونـــج
ملدرد دوجلاس
عـــمـــتـــهـــا
مهندس ثـــان
حـــارس
ســـكـــرتـــير
إحدى الهيئات
يـــانـــك
وقـــادون
ســـيـــدات
رجـــال.. الخ

المنظر الأول

[منارة الوقادين فى إحدى عابرات المحيط ، ساعة بعد إقلاعها من نيويورك فى رحلتها عبر الأطلنطى . ثلاث طبقات من أسرة ضيقة من الصلب فى كل الجوانب ، ومدخل فى المؤخرة وأرائك على الأرض أمام الأسرة . الحجرة مزدحمة برجال يتصايحون ويتشاتمون ويضحكون ويغنون ، خليط من الهرج الطائش يتعالى فى نوع من الوحدة ذات المعنى ، كتحد الوحش الحبيس فى ارتباكه وهياجه وحيرته . الرجال كلهم يكادون يكونون سكارى ، - وزجاجات كثيرة تتداولها الأيدى وهم يلبسون سراويل العمل وأحذية ثقيلة كالحة . والبعض يلبس صداراً أما الأغلبية فعراة حتى خصورهم .

ويجب ألا تكون معالجة هـذا المنظر ولا أى منظر آخر فى المسرحية معالجة طبيعية ، فإن التأثير المطلوب هو تأثير مكان مزدحم

فى جوف السفينة محاط بالصلب الأبيض ، وصفوف الأسرة والأعمدة التى تحملها يقاطع كل منها الآخر فيما يشبه هيكل القفص الحديدى . ويجثم السقف فوق رءوس الرجال فلا يستطيعون أن يعتدلوا فى وقفتهم مما يبرز الانحناء الطبيعى الذى أحدثه فيهم جرف الفحم وما ينتج عنه من بروز فى عضـــلات الظهر والكتفين . ويجب أن يشبه الرجال تلك الصور التى نتخيلها عن مظهر إنسان نياندرتال ، فلهم جميعاً صدور كثيفة الشعر ، وأذرع طويلة خارقة القوة ، وحواجب منخفضة متباعدة تعلو عيونهم الصغيرة الشرسة المتبرمة . ولقد تمثلت فيهم كل الأجناس البيضاء المتحضرة ولكن فيما عدّا الاختلافات الطفيفة فى لون الشعر والجلد والعينين نجد أن جميع هؤلاء الرجال متشابهون .

يرتفع الستار على جلبة من الصوت ، يانك جالس فى المقدمة وقد بدا أعرض ، وأشرس ، وأغلظ ، وأقوى ، وأكثر ثقة بنفسه من الباقين . وهم يحترمون قوته الخارقة ذلك الاحترام الناتج عن الخوف ، ومع ذلك فهو يمثل لهم التعبير عن الذات ، والكلمة الأخيرة فيما هم عليه ، وأعلاهم شأناً فى تطوره الفردى] .

أصوات : اعطنى شراباً يا عزيزى أنت !

بل ريقك !

سلام !

صحتك !

صحتك !

سكرت كأنك لورد ، قواك الله !

هذه هى الطريقة !

يا للحظ !

أرجع هذه الزجاجة يا لعين !

إنه يفرغها فى حلقه !

فُروجى ! أين كنت بحق الشيطان ؟

لاتورين .

بحق الله ! قذفت به عليك .

جنكنز — الأول — إنه خنزير عفن .

وقبض عليه رجال الشرطة — أما أنا فهربت .

أنا أفضل البيرة .

إنها داعرة ! سرقتنى أثناء نومى .

فليذهبوا جميعاً إلى الجحيم !

إنك كذاب ! كذاب !

قل هذا ثانية ! [اضطراب . يفصلون بين رجلين على وشك الالتحام] .

لا عراك الآن !
الليلة —
لدى من هو أحسن الرجال !
هولندى قذر !
الليلة فى الميدان الأمامى .
إننى أراهن على الهولندى .
ألم أقل لك إنه أعطاه ضربة قاضية !
اخرس ياوب !
لا عراك يا سادة فنحن جميعاً زملاء ،
ألسنا كذلك ؟
[يبدأ أحدهم فى الصياح بإحدى الأغنيات] .
« البيرة ، البيرة ، ما أعظم البيرة !
اشرب واملأ بطنك بالبيرة !

يانك : [يبدو كأنه تنبه لأول مرة لما حوله من الهرج فيلتفت مهدداً فى لهجة آمرة] : أوقفوا هذه الضجة ! من أين لك هذا الهراء عن البيرة ؟ لتذهب البيرة إلى الجحيم ! البـــيرة مشروب البنات والهولنديين .

إنى أفصل ما فيه لسعة : ليعطنى أحدكم ما أشربه يا زملاء . [تقدم له بحماس عدة زجاجات فيتناول جرعة كبيرة من إحداها ثم محتفظاً بالزجاجة فى يده يحدق بنظرة ساحقة فى صاحبها الذى يسارع إلى إظهار رضائه عن هذه السرقة بقوله] حسناً يا يانك ! احتفظ بها وإليك أخرى . [وباحتقار يدير يانك ظهره إلى الجمع مرة أخرى ، ولمدة ثانية يسود صمت مطبق . ثم ...] .

أصوات : يجب أن ننجو من الشرك !

بدأت تتدحرج نحوها .

ستة أيام فى الجحيم ... وبعدها تبلغ ساوثمبتون .

وحق المسيح أود لو يأخذ مكانى أحد !

هل أصابك دوار البحر يا مربع الرأس ؟

اشرب وانسها !

ماذا فى زجاجتك

چن !

مشروب العبيد ! .
أبسنت ؟ إنه مخدر شديد ، ستفقد رأسك
يا فروجي .
خنزير !
ويسكى ؟ إنه وصفتى الدائمة .
أين بادى ؟
ذهب لينام .
غن لنا يا بادى أغنية الويسكى .

[يلتفتون جميعاً إلى شيخ إيرلندى نحيل ، ينعس فى سكر شديد على الأريكة الأمامية ويشبه وجهه إلى حد كبير وجه القرد بكل ما تمليه الكآبة الصابرة التى فى العينين الصغيرتين لذلك الحيوان] .

غن أغنية يا كاروزبات !
لقد شاخ ، وأثقل عليه الشراب .
إنه فى غاية السكر .

بادى : [ينظر فيما حوله وينهض على قدميه متبرماً مترنحاً مستنداً إلى حافة أحد الأسرة] : لست سكراناً لدرجة الامتناع عن الغناء ،

فأنا لا أمتنع عن الغناء إلا إذا كنت ميتاً بالنسبة إلى العالم . [وبنوع من الاحتقار الحزين] أتريدون « ويسكى جونى » ؟ أم تريدون « نشيد البحارة » ؟ إنها لرغبة عجيبة من المستقبحين أمثالكم ، كان الله فى عونكم ، ولكن لا بأس [يبدأ فى الغناء بصوت رفيع ، أخنف ، كئيب] :

آه ، الويسكى حياة البشر !

هات لى الويسكى يا چونى !

[يرددون جميعاً هذا المقطع وراءه]

آه ، الويسكى حياة البشر !

ويسكى من أجلى يا چونى !

[الكورس يردد ثانية]

آه ، جعلنى الويسكى كهلا أحمق !

هات لى الويسكى يا چونى !

آه ، جعلنى الويسكى كهلا أحمق .

ويسكى من أجلى ياچونى .

يانك : [يستدير مرة أخرى وباحتقار] يا للجحيم ! أوقفوا هذا الهراء فى السفينة العتيقة

المبحرة ! أصبح هـــذا الثور ميتا ، ألا ترون ؟ وأنت أيضاً أيها القيثار العجوز أصبحت ميتا ، ولكنك لا ترى : اهدؤوا ، وأريحونا ، وأوقفوا هذه الضجة العالية [بابتسامة ساخرة] ألا ترون أنني أحاول أن أفكر ؟

[الجميع : يرددون الكلمة وراءه فى وقت واحد وبنفس نغمة التهكم المرحة الساخرة] تفكر !

[ويدوى لكلمة الكورس « الجوقة » رنين معدنى كما لو كانت حناجرهم أبواق فونوغراف « حاكى » وتعقبها ضجة عالية من الضحك الأجش الذى يشبه النباح]

أصوات : لا تصدع رأسك يا يانك .
سيصيبك الصداع بحق الشيطان ؟
ألطف ما فيها أنها على وزن اسكر !
ها ، ها ، ها !
اسكر ، اسكر ، لا تفكر !
اسكر ، اسكر ، لا تفكر !
اسكر ، اسكر ، لا تفكر !

[كورس كبير من الأصوات يرددون هذا المقطع وهم يخبطون على الأرض ، ويدقون بقبضاتهم على الأرائك] :

يانك : [بروح طيبة .. وهو يتناول جرعة من زجاجته] وهو كذلك ، يمكنكم أن تستمروا فى التهريج . وافقتكم لأول مرة . [يتلاشى الضجيج ، ويبدأ أحد السكارى من المطربين العاطفيين فى الغناء] .

هنالك ما أبعد كندا والبحر يفصلنا أمدا
فى لهفة الشوق فتاتى تبتنى عشا يدوم لحبنا أبدا

يانك : [فى ضراوة الازدراء] كفى أيها الغبى الأحمق ! من أين لك هذا الهراء ؟ بيت ؟ ليذهب البيت إلى الجحيم ! سأبنى لك بيتا ! سأرديك قتيلا . بيت ! لتحترق أنت وبيتك ! من أين لك هذا الهراء ؟ هذا هو بيتك ، أتراه ؟ ماذا تريد بالبيت ؟ [بافتخار] لقد هربت من بيتى عند ما كنت طفلا . وكنت مسروراً

جداً لأننى تخلصت منه فلم يكن البيت يعنى عندى غير الضرب . أما الآن فإنك تستطيع أن تراهن على سروالك أن أحدا لم يضربنى من ذلك الحين . هل تحب أن تجرب ، أو أى واحد منكم ؟ هيه ! أظنكم لا تحبون . [فى لهجة أكثر هدوءا وإن كانت لا تزال مهينة] تقول إن البنات فى انتظارك ؟ يا للهول ، إن هذا كلام فارغ ! هن لا ينتظرن أحدا ! هن على استعداد لخيانتك فى مقابل شلن . صدقنى ، هن جميعاً خائنات . عاملهن بخشونة كما أفعل ، وإلا ليذهبن إلى الجحيم ! هن خائنات ، كلهن خائنات .

لونج : [مخمورا جدا ، يقفز على أريكة فى اضطراب وهو يشير بزجاجة فى يده] أنصتوا يا رفاق ! يانك على حق . يقول إن هذه السفينة العفنة هى بيتنا ، ويقول إن البيت هو

الجحيم ، هو على حق ! هذا جحيم ونحن نعيش فى الجحيم أيها الرفاق .. وأغلب الظن أننا سنموت فيه . [بهياج] وإنى أسألكم ، على من يقع اللوم ؟ لا يقع علينا ، فما ولدنا فى هذا الطريق العفن ، ولد الناس جميعاً أحرارا متساوين كما جاء فى الإنجيل ، أيها الرفاق . ولكن هل يهم الإنجيل ، أولئك الخنازير الكسالى المنتفخين ركاب الدرجة الأولى ؟ هم السبب ، فقد هووا بنا حتى أصبحنا مجرد عبيد أجراء ، فى جوف سفينة لعينة ، نعرق ، ونحترق ، ونسف تراب الفحم ! هم الملومون .. طبقة الرأسماليين الملاعين [همهمات من النفور والامتعاض كانت قد أخذت تتزايد بين الرجال حتى وصلت الآن إلى مقاطعته بعاصفة من الصفير والأزيز والهسيس والضحك الأجش]

أصوات : اقفل هذا الجهاز !

اخرس !

اقعـــد !

غط هذا الوجه !

يا لك من أحمق ملعون ! (. . . الخ)

يانك : [ناهضا ومحملقا فى لونج] اجلس قبل أن أطرحك على الأرض ! [يسرع لونج ليختفى ، ويستطرد يانك فى امتعاض] الإنجيل ، هه ؟ طبقة الرأسماليين ، هه ؟ جيش الخلاص الاشتراكى ليحترق أو يذهب إلى الجحيم . احضر صندوق صابون ! واستأجر إحدى القاعات ! وتعال لتنقذ نفسك ، هه ؟ تجذبنا نحو المسيح ، هه ؟ اذهب عنى بعيدا ! إنى أنصت لكثير مثلك من الصبيان ، ووجدتكم جميعا مخطئين . وإذا أردت أن تعرف رأى فاعلم أنه لا خير فيكم لأى إنسان . إنكم مخزن فحم ، إنكم لغط ولا زيادة ، إنكم صفر . هذا كل ما فى الأمر ، صفر أتفهمنى ؟ قل لى ! ما شأنهم بنا هؤلاء

الثقلاء ركاب الدرجة الأولى !

ألسنا أحسن منهم حالا ؟ لا شك ! إن الواحد منا يستطيع أن يمحو جمهورهم كله بإصبعه ، دع واحدا منهم ينزل نوبة واحدة إلى فتحة الفرن ولينظر ماذا يحدث له ؟ إنهم سيحملونه على نقالة ، إن هذه الطيور لا تساوى شيئاً ، إنها مجرد متاع . من ذا الذى يسير هذا القارب العتيق ؟ ألسنا نحن أيها الرجال ؟ حسناً إذن فنحن أصلاء ، إننا أصلاء وهم غير أصلاء ، وهذا كل ما فى الأمر .

[صيحة تأييد إجماعية وبعدها يستطرد يانك]

تقول إنها جحيم .. أوه ، كلا لقــد فقدت أعصابك . إنها مهنة رجال ، أتفهمنى ؟ إنها مهنة أصيلة . إنها تسير هذا القارب ولا تحتــاج إلى المحنطين ولكنك من المحنطين ، إنك صفراوى .

أصوات : [باعتزاز كبير وغليظ بأنفسهم] :

هذا حق !

عمل رجال !

حديثك رخيص يا لونج :

لم يستطع مطلقاً أن يتماسك إلى النهاية .

ليأخذه الشيطان !

يانك على حق ، فنحن الذين نسيرها .

والله إن يانك يقول الكلام الصحيح !

لسنا فى حاجة إلى من يتباكى علينا .

أو يلقى خطباً .

ألقوه فى البحر !

صفراوى !

اقذفوه إلى المحيط !

سأحطم له فكه !

[يتجمهرون حول لونج مهددين] .

يانك : [بشىء من الطيبة .. وباحتقار] أوه ، رفقاً به ، دعوه فإنه لا يستحق الضرب وهيا إلى الشراب ، اشربوا ولنر ، من الذى

يستطيع أن يشرب هكذا [يتناول جرعة كبيرة من زجاجته ،فيشرب معه الجميع ، وفى لمحة يعود الجو كله إلى نشوة اللطف والمداعبة والحديث بصوت مرتفع . . الخ] . .

بادى : [الذى كان جالساً فى حالة من الدوار السوداوى القاتم يصيح فجأة فى صوت ملؤه الأسف على ما ضاع] أتقول إننا هنا أصلاء ؟ أتقول إننا نسير السفينة ؟ ليرحمنا الله ! [يتطور صوته حتى يشبه عويل الثكلى ، ويهتز بعنف على الأريكة فيحملق فيه الرجال مأخوذين متأثرين بالرغم منهم] أوه ، ليتنى أعود إلى أيام شبابى الجميلة ! أوه ، كم كانت فيها سفن جميلة فاخرة .. جوارى ذات أشرع طويلة ترتفع إلى عنان السماء ، عليها رجال أقوياء مهذبون ، رجال هم حقاً أبناء البحار ، كأن البحار أمهم التى ولدتهم . أوه ، يا لبشرتهم النظيفة ، يا لأعينهم الصافية ، يا لظهورهم المشوقة وصدورهم

الممتلئة ! لكم كانوا جريئين وشجعان !
كنا مثلا نبحر فى اتجاه « القرن » فنفرد الشراع مع الفجر ، ويهفهف علينا نسيم السـحر ونحن نردد نشيد البحارة بلا مبالاة . وتغوص الأرض وراءنا حتى تغيب فلا نهتم لها بأكثر من الضحك ولا نعيرها أدنى التفات . فقد كان اليوم غاية ما نهتم له لأننا كنا أحراراً .. واعتقد أن العبيد وحدهم هم الذين يهتمون لليوم الذى مضى واليوم الذى سيأتى .. حتى يشيخوا كما شخت .
[بنوع من النشوة الصوفية] آه ، لو أرحل ثانية إلى الجنوب فى سفينة تدفعها الرياح التجارية فى استمرار عبر الليالى والأيام ، أشرعتها منشورة فى الليالى والأيام ! ليالى يشتعل فيها زبد الأمواج نارا ، وتتوهج فيها السماء بغمزات النجوم ، وربما بالقمر وقد

صار بدراً . هنالك تراها فى غسق الليل تمخر عباب البحار ، يرفرف فوقها شراعها الأبيض الفضى ، ولا من ضجة على السطح ، فالجميع سابحون فى أحلام حتى يخيل إليك أنها ليست سفينة حقيقية على الإطلاق ، بل سفينة خرافية مثل « الهولندى الطائر » الذى يقولون إنه يطوف البحار مدى الحياة من غير أن يرسو على ميناء . وهنالك النهار أيضاً ، حيث الشمس الدافئة تسطع فوق سطح السفينة النظيف . شمس تبعث الدفء فى الدماء ، ورياح تعبر أميالا من المحيط الأخضر البراق كأنها الحميا تدب فى الأوصال . وعمل ، أى والله إنه لعمل شاق ، ولكن من ذا الذى يعبأ بذلك على الإطلاق ؟ كنت أعمل تحت السماء عملا فيه المهارة والجرأة .

وعندما ينتهى النهار أجلس فى برج المراقبة أدخن غليونى باسترخاء والمنظار يرينى الأرض وهى تطفو وجبال أمريكا الجنوبية خضبت قممها البيض نيران الشمس الغاربة الحمراء وما يطوف حولها من السحب . [تتلاشى النغمة المنتشية ويستمر فى رثاء] ولكن ، ما فائدة الكلام ؟ إنه همس الأموات . [مخاطبا يانك باستياء] فى تلك الأيام ، لا فى هذه ، كان الناس ينتمون إلى السفن ، فى تلك الأيام كانت السفينة جزءاً من البحر ، وكان الرجل جزءاً من السفينة ، وكان البحر يربطهم جميعاً برباط الوحدة . [باحتقار] أتحب أن تكون جزءاً من هذه يا يانك ؟ هذا الدخان الأسود الذى يتصاعد من المداخن فيغمر البحر بأقذاره ، ويغمر ظهر السفينة . هذه

الماكينات البشعة التى تدق وتهتز وتتحرك ، لا لمحة فيها من ضوء الشمس ولا نسمة فيها من نقى الهواء . تختنق رئاتنا بتراب الفحم ، وتنكسر ظهورنا وقلوبنا فى جحيم الموقد ، ونحن نغذى الفرن البشع ، ونغذيه بحياتنا مع الفحم . أغلب ظنى أننا محبوسون عن منظر السماء فى قفص من الصلب كالقردة الدميمة فى حديقة الحيوان ! [بضحكة مريرة] هوه .. هوه ، تولاك الشيطان ! أهذه هى التى تريد أن تكون فيها أصيلا ؟ هذه الآلة هى التى تريد أن تكون فيها عجلة من لحم ودم ؟

يانك : [الذى كان ينصت وينظر إليه باحتقار ، يعوى مجيباً] لا شك أن هذا هو ما أريده ، فما العيب فى ذلك ؟

بادى : [كأنه يخاطب نفسه فى أسف عظيم] لقد

مضى زمنى ، وربما جرفتنى موجة عاتية فى شروق الشمس وأنا أحلم فى وقت ما بالأيام التى مضت ؟

يانك : أوه ، أيها الأحمق ! [يقفز على قدميه ويتقدم نحو بادى مهددا ، ثم يتوقف مجاهدا شيئاً غريباً يصطرع فى نفسه ، يترك يديه تسقطان إلى جانبيه ، وباحتقار] أوه ، خذ الأمر ببساطة ، فإنك على ما يرام ، إنك حقير كحشرة البق ، غشيم كالوقواق . ولا بأس بكل هذا اللغط الذى تتقيؤه ، إنه أصبح ميتا ، أتفهمنى ؟ ولم تعد أصيلا ، ألست معى ؟ إنك لست أكثر من سقط متاع ، إنك عجوز أكثر مما يجب . [باشمئزاز] ولكنى أقول ، ألا يمكنك أن تصعد قليلا لتستنشق الهواء ولتنظر ماذا حدث منذ أن بدأت العصيان . [وفجأة ينفجر بعنف ويزداد جيشانه مع الكلام] لا شك ! لا شك ! لا شك

إننى قصدت ذلك ! فماذا بحق الجحيم ...
دعونى أتكلم ! إلىّ ! إلىّ أيها القيثار
العجوز ! إلىّ أيها الرجال ! انصتوا
لى . . . وانتظروا لحظة . . . فعندى
شىء أريد أن أقوله . ألا ترون أننى
أصيل بينما هو غير أصيل ، ألا ترون
أنه مات بينما أنا ممتلئ بالحياة . . . أنصتوا
لى ! لا شك أننى جزء من هذه الآلات !
ولم لا بحق الجحيم ؟ أليست تتحرك ؟
أليست تسرع ؟ أليست تمخر عباب
البحار ؟ خمس وعشرون عقدة فى
الساعة ! إن ذلك شىء عظيم ! إن ذلك
عهد جديد ! إن ذلك أصيل ! أما هو
فإنه عجوز أكثر مما يجب . إنه مصاب
بالدوار ؛ أنصتوا ، كل ذلك اللغط
الأحمق عن الليالى والأيام ، كل ذلك
اللغط الأحمق عن النجوم والأقمار ،
كل ذلك اللغط الأحمق عن الشموس

والرياح ، والهواء العليل وبقية هذا الكلام .. يا للجحيم ، ذلك كله حلم بعد مخدر ، إنه يجتر ذكريات الماضى ، هذا كل ما يفعله . إنه عجوز ولم يعد أصيلا ، أما أنا فشاب ! إننى فى وهج الحياة ! إننى أتطور معها ! هى ، أتفهمون ! أعنى ذلك الشىء الذى هو أساس كل شىء . إنها تشق عباب اللغط الذى كان يتقيؤه . إنها تنسفه نسفا ! إنها ترديه قتيلا ! إنها تقتلعه من وجه الأرض ! هى ، أتفهمون ! هى الآلات والفحم والدخان وبقية هـذه الأشياء ! إنه لا يستطيع أن يتنفس أو يبتلع تراب الفحم ، أما أنا فأستطيع ، ألا ترون ؟ إنه الهواء النقى بالنسبة لى ! وهو الغذاء بالنسبة لى ! إننى حديث ، ألا تفهمون ؟ يقول إن الموقد هو الجحيم ؟ لا شك ! وهذا لأن العمل

فى الجحيم يحتاج إلى رجال . ولا شك أن الجحيم هو مناخى المفضل . إننى ألتهمه ! إننى أتغذى عليه ! وأنا الذى أجعله يشتعل ! أنا الذى أجعله يزأر ! أنا الذى أجعله يتحرك ! لا شك أنه بدونى يتوقف كل شىء ، بل يموت كل شىء . الضوضاء والدخان وجميع الآلات التى تحرك العالم ، كلها تتوقف ولا يتبقى بعدها شىء ! هذا هو ما أقوله . إن كل شىء آخر يحرك العالم ، يحركه شخص ما ، وما كان ليتحرك إلا أن يحركه شخص ما وهكذا حتى ترجعوا إلىّ ، إننى فى القاع ، ولا شىء بعدى . أنا النهاية ! وأنا البداية ! أحرك شيئاً فيتحرك العالم ! هى ... إنها أنا ! الجديد الذى يقضى على القديم ! أنا الذى أجعل

الفحم قابلا للاحتراق ، أنا البخار والزيت الذى فى الآلات ، أنا الذى أجعلكم تسمعون الضوضاء ، أنا الدخان ، والقطار السريع ، والباخرة ، وصفارة المصنع . أنا من يجعل الذهب نقودا ! ومن يجعل الحديد صلبا ! الصلب ، الذى هو أساس كل شىء أنا الصلب ، الصلب ، الصلب ! أنا العضلات التى فى الصلب ، أنا ما فيه من قوة .

[وعندما يبلغ هذه العبارة يدق بقبضته على الأسرة الصلب ، فيفعل مثله كل الرجال الذين بلغت بهم خطبته درجة الحمى من الفخر بالذات ، فيتصاعد زئير معدنى يصم الآذان ، يسمع من خلاله صوت يانك وهو يزأر] عبيـــد ، يا للهول ! إننا ندير كل المصانع ، وكل الأغنياء الذين يظنون أنهم شىء هم ليســوا فى الواقع شيئاً ، إنهم لاينتمون إلى شىء. أما نحن الشبان فإننا

فى الطريق ، إننا فى القاع ، ولكننا الكل فى الكل !

[بادى وقد ظل منذ بداية خطبة يانك يتناول من زجاجته جرعة تلو أخرى ، خائفاً أول الأمر كأنه يخشى الاستماع ، ويائساً بعد ذلك كأنه يريد أن يغرق حواسه ، يتم له السكر فى عدم اكتراث وربما فى شىء من التسلية . ويرى يانك شفتيه ترتجفان فيقضى على الضجيج صائحاً] :

هونوا عليكم أيها الشبان ! انتظروا لحظة ! إن القيثار الأحمق يقول شيئاً .

بادى : [يسمع الآن ، وهو يلقى برأسه إلى الخلف فى ضحكة هازئة] هوه ... هوه ... هوه ... هوه ... هوه ...

يانك : [يشد قبضته - وبتكشيرة] أوه ! حاول أن تعرف على من هذا النباح !

بادى : [يبدأ فى غناء « طحان الشاطئ » بلطف عظيم] .

« أنا لا أهتم بأحد ولا حتى بنفسى
كما أن أحداً لا يهتم بى . . أنا نفسى »

يانك : [فجأة وبروح طيبة يقاطع بادى بصفعة على ظهره العارى فتحدث دوياً كأنه انطلاق الرصاص] هذا هو الكلام ! الآن قد أصبحت حكيماً فى شىء . لا اهتمام بأحد ، تلك هى الخلاصة ! فليذهبوا جميعاً إلى الجحيم ! لا عناية باهتمام الآخرين ، ما دمت أستطيع أن أعنى بنفسى .

٦ [رنين ثمانية أجراس ، يتردد صداه خلال الجدران الصلب ، كأن ناقوساً نحاسياً كبيراً قد قرع فى وسط السفينة . يقفز جميع الرجال آلياً ، ويخرجون من الباب صامتين متلاصقين بعضهم فى أعقاب بعض فيما يشبه خطوات السجناء ، يربت يانك على ظهر بادى] نوبتنا أيها القيثار العجوز ! [ساخراً] هيا إلى الجحيم ، لتسف تراب الفحم ، وتستقى

عذاب الحريق . تلك هى الحياة ، فإما أن تفعل ذلك وتألفه . . . أو تقضى على نفسك كل القضاء .

بادى : [بتحد مرح] اذهب إلى الشيطان ! لن أحضر هـذه النوبة وليرصدوا اسمى فى سجلاتهم ، فلست عبداً مثلك . . سأظل جالساً هنـا على راحتى أسكر ، وأفكر ، وأسرح مع الأحلام .

يانك : [بامتعاض] تفكر ، وتحلم ؟ وماذا يعود عليك من التفكير والأحلام ؟ ألسنا نتحرك ؟ ألسنا نسرع ؟ الضباب ، هذا هو كل ما تخشاه ، ولكن ألسنا نشق طريقنا فيه ؟ إننا نشقه ونمخر عِبابه ... خمس وعشرون عقدة فى الساعة ! [يدير ظهره لبادى وباحتقار] أوه ، إنك

تشعرنى بالغثيان ! إنك لا تنتمى !
إنك غير أصيل ! [يخرج من الباب الخلفى ، وبادى يهمهم لنفسه وقد داعب جفنيه النعاس] .

[ســتار]

المنظر الثانى

[بعد انقضاء يومين ، فى جزء من سطح السفينة ، تشاهد ملدرد دوجلاس ، وعمتهـا مستلقيتين على كرسيين من كراسى السطح . الأولى فتاة فى العشرين نحيلة ، رقيقة ، يعلو وجهها المليح الشاحب تعبير عن السمو والرفعة . وتبدو ضجرة ، عصبية ، غير راضية ، مستاءة من مرضها بالأنيميا . وأما عمتها فسيدة طاعنة فى السن ، فخور متعاظمة . وهى أنموذج فى غاية الدقة للمرأة ذات الذقن المزدوج ، والمنظار المكبر ، تتظاهر بملابسها كأنما تخشى أن وجهها وحده غير كاف للدلالة على مكانتها فى الحياة . أما ملدرد ، فترتدى ملابس بيضاء .

والتأثير المطلوب فى هذا المنظر هو جمال البحر وحيويته ... شمس تفيض على السطح بالإشراق ، تهب عليه نسائم البحر العليلة .

وفى وسط هذا كله يرى هذان الشبحان المتنافران جامدين وفى غير انسجام . كبراهما تشبه كتلة رمادية من العجين الملطخ بالمسحوق الأحمر « روج » ، والصغرى تبدو كأن حيويتها المدخرة قد استنفدت من قبل أن تولد ، حتى كأنها ليست تعبيراً عن نشاطها الحيوى بل عن الزيف الذى اكتسبه هذا النشاط .]

ملدرد : [تنظر إلى أعلى مدعية النظرة الحالمة] كم يتلوى الدخان الأسود فى السماء ! أليس ذلك جميلا ؟

العمة : [بدون نظر إلى أعلى] لا أحب الدخان من أى نوع .

ملدرد : كانت والدة جدتى تدخن البيبة ... بيبة من الفخار .

العمة : [بانزعاج] عمل سوقى لا يليق !

ملدرد : كانت أبعد ما تكون عن السوقية ، والزمن يسوغ البيبة .

العمة : [مدعية السأم ولكن مستثارة] أهذا هو

علم الاجتماع الذى درستيه فى الكلية ؟
هل تعلمت أن تكونى فى كل مناسبة
ممكنة كالغول الذى ينبش العظام القديمة ؟
لم لا تتركين والدة جدتك تستريح فى
قبرها ؟

ملدرد : [حالمة] والببة إلى جانبها . . تدخن
فى جنة النعيم .

العمة : [بغيظ] أنت غول بفطرتك ، بل
إنك أصبحت يا عزيزتى تشبهين الغول .

ملدرد : [بلهجة خالية من التعبير] إنى أكرهك
ياعمتى . [ترمقها بنظرة فاحصة] هل
تعرفين بماذا تذكريننى ؟ بلحم الخنزير
البارد ، على مائدة مفروشة بالمشمع ،
فى مطبخ . . أوه ولكن الإمكانيات
لا تسمح [تغمض عينيها] .

العمة : [بضحكة مريرة] شكراً على صراحتك .

ولكن ما دمت حارستك ، ومن واجبى أن أ. عاك ، فى الظاهر على الأقل ، فلنعقد هدنة مسلحة . ومن ناحيتى لك مطلق الحرية فى أن تتخذى ما يحلو لك من الأوضاع الشاذة ما دمت تراعين البداهات ...

ملدرد : [متثاقلة] البلاهات ؟

العمة : [مستمرة كأنها لم تسمع] بعد أن استنفدت مثيرات الخدمة الاجتماعية فى الحى الشرقى من نيويورك ، على فكرة ، لابد أنهم يكرهونك أولئك الفقراء الذين أظهرتهم أكثر فقرا فى أعين أنفسهم ! والآن وأنت تكبين على تدويل بحثك ، أرجو أن تمدك « هوايتشابل » بما تحتاجين إليه من مقويات الأعصاب . ولا تطلبى منى أن أقوم برعايتك هناك مهما كانت الأحوال ، إنى أخبرت

والدك أنني أشمئز من السخافات . وربما لو استأجرنا جيشاً من البوليس السرى يسمحون لك بالبحث عن كل شيء .

ملدرد : [محتجة بشيء من النبرة الحقيقية] أرجوك لا تسخرى من محاولاتى لمعرفة كيف يعيش النصف الآخر ، واعطنى الثقة لكى أتلمس نوعاً من الإخلاص فى ذلك على الأقل فأنا أود أن أساعدهم ، وأود أن أكون ذات فائدة فى العالم . فهل غلطتى أننى لم أعرف كيف السبيل إلى ذلك ؟ إنى أود أن أكون مخلصة ، وأن ألمس الحياة فى مكان ما . [بمرارة عسيرة] ولكنى أخشى ألا تكون عندى الحيوية ولا التماسك ، إذ احترق كل ذلك فى أسرتنا من قبل أن أولد . فأفران الصلب التى أنشأها جدى ، وارتفع لهيبها فى السماء ، يصهر الصلب

ويجمع الملايين . ثم أبى الذى حافظ على هذه الأفران وجمع المزيد من الملايين . وأنا الصغيرة فى مؤخرة هذا كله . إننى إنتاج ضائع فى منشأة « بسسيمر » .. كالملايين . أو لعلنى بالأحرى ورثت الإنتاج والثروة ، ولم أرث شيئاً من الطاقة ولا من قوة الصلب . إننى مسوقة بالذهب وملعونة به كما يقولون فى ميدان السباق . إننى ملعونة بأكثر من معنى واحد [تضحك بغير مرح] .

العمة : [بلا تأثر – وبكبرياء] يظهر أنك اليوم مندمجة فى دور الإخلاص . والواقع أنه لم يخلق لك . . . إلا التصنع الظاهر ، أنصحك أن تكونى مزيفة كما أنت ، ففى هذا كما تعرفين نوع من الإخلاص . وبعد هذا كله ، يجب أن تعترفى أن هذا هو ما تفضلينه .

ملدرد : [تعود مرة أخرى إلى التأثر والاستياء] نعم ، أظن أن هذا ما سأفعله . واغفرى لى سورتى فما أسخف الفهد إذا اشتكى من البقع التى على جلده . [فى نغمة ساخرة] اعو أيها الفهد الصغير . اعو ، وخربش ، ومزق ، وافترس ، واتخم نفسك وكن سعيداً . . . على أن تبقى فى الأحراش حيث تصلح بقعك فى التمويه فإنها لا تخفيك وأنت فى القفص .

العمة : أنا لا أعرف فيم تتكلمين .

ملدرد : إنه لمن الوقاحة أن أتحدث معك عن أى شىء ، فلنكتف بمجرد الكلام [تنظر فى ساعة يدها] الحمد لله ، حان وقت حضورهم ، فإن هذا يا عمتى مما ينعشنى .

العمة : [مدعية الاضطراب] لا أظن أنك ستذهبين بالفعل ؟ حيث القذارة ... والحرارة التى لا بد أنها مخيفة .

ملدرد : بدأ جدى حياته ملاطا ، فكان يجب أن أرث منه مناعة ضد الحرارة التى تصهر الحديد ، وسوف يكون من الطريف القيام بمثل هذه التجربة .

العمة : ولكن ألا يجب أن تحصلى من الربان أو شخص غيره على إذن لزيارة الفرن ؟

ملدرد : [بابتسامة الظفر] حصلت على إذنه وإذن كبير المهندسين . أوه ، إنهما مانعا أول الأمر بالرغم من شهاداتى فى الخدمة الاجتماعية ، ولم يبد عليهما الاهتمام لبحثى عن كيف يعيش النصف الآخر ويعمل على ظهر السفينة ، ولذا أخبرتهما أن أبى ، مدير شركة نازاريت للصلب ورئيس مجلس المديرين لهذه الصناعة ، قال لى لا بأس فى ذلك .

العمة : ولكنه لم يقل شيئاً .

ملدرد : كم تجعل الشيخوخة الإنسان ساذجا !

قلت يا عمتى إنه قال ، بل وقلت إنه أعطانى خطابا لهما ولكنه ضاع ، فخافا أن يغامرا ويظنا أننى كاذبة . [باستنزاز] إذن حان الوقت للذهاب إلى فتحة الفرن ، وسيكون المهندس الثانى فى حراستى . [تنظر إلى ساعتها مرة ثانية] حان الوقت وها هو قادم فيما أظن . [يدخل المهندس الثانى رجل أجش الصوت ، لطيف المنظر ، فى حوالى الخامسة والثلاثين . يقف أمام الاثنتين ويلمس قبعته وقد بدت عليه الحيرة والارتباك]

المهندس الثانى : مس دوجلاس ؟

ملدرد : نعم [تلقى حرامهـا وتقف على قدميها] هل نحن على استعداد للذهاب ؟

المهندس الثانى : ثانية واحدة يا سيدانى ، إننى فى انتظار المهندس الرابع ، وسيأتى حالا .

ملدرد : [بابتسامة ساخرة] لا تريد تحمل المسئولية وحدك ، أليس كذلك ؟

المهندس الثانى : [بابتسامة مغتصبة] اثنان أفضل من واحد .

[يصطدم بعينيها ، فيتطلع إلى البحر ، وهو يقول]

إنه ليوم جميل .

ملدرد : صحيح ؟

المهندس الثانى : النسيم دافئ عليل .

ملدرد : إننى أشعر بأنه بارد .

المهندس الثانى : ولكنه دافئ بما فيه الكفاية فى الشمس .

ملدرد : ليس بما فيه الكفاية بالنسبة لى ، فأنا لا أحب الطبيعة ، ولم أكن رياضية فى يوم من الأيام .

المهندس الثانى : [بابتسامة مغتصبة] حسنا ، ستجدينه دافئا بما فيه الكفاية حيث تذهبين .

ملدرد : تقصد جهنم ؟

المهندس الثانى : [مندهشا ، وقد قرر أن يضحك] هوه ... هوه ! كلا ، أقصد فتحة الفرن .

ملدرد : كان جدى ملاطا ، وكان يلهو بالصلب فى درجة الغليان .

المهندس الثانى : [مستغرقا فى البحر ، وبتعثر] صحيح ! معذرة يا سيدتى ، ولكن هل تنوين ارتداء هذه الثياب ؟

ملدرد : ولم لا ؟

المهندس الثانى : لن يمكنك تفادى الزيت والقذارة .

ملدرد : لا يهم ! عندى عدد كبير من الثياب البيض .

المهندس الثانى : لدى معطف قديم يمكنك أن تضعيه على كتفيك . . .

ملدرد : عندى خمسون ثوبا من هذا النوع ، وعند ما أعود سألقى بهذا الثوب إلى البحر ، ألا تظن أنه يغسل جيداً .

المهندس الثانى : [معاندا] ستنزلين على سلالم ليست نظيفة جداً . . . وممرات مظلمة . . .

ملدرد : سأرتدى هذا الثوب دون غيره .

المهندس الثانى : لم أقصد الإساءة ، فليس هذا من شأنى ، وإنما كنت أحذرك . . .

ملدرد : تحذرنى ؟ إنه لأمر مثير .

المهندس الثانى : [ينظر إلى أسفل .. ويتنهد بارتياح] ها هو المهندس الرابع ، إنه فى انتظارنا ، إذا كنت ستأتين . . .

ملدرد : تقدم وسأتبعك [يذهب وتلتفت ملدرد إلى عمتها بابتسامة ساخرة] ساذج . . . ولكنه نشط ووسيم .

العمة : [باحتقار] رقيعة .

ملدرد : احذرى ، قال إن هناك ممرات مظلمة .

العمة : [بنفس اللهجة] رقيعة .

ملدرد : [تعض شفتيها بغضب] إنك على حق ، ولكن كنت أرجو ألا تكون ملايينى سببا فى التمسك بمظهر العفة .

العمة : نعم ولا أشك فى أنك على استعداد لتلطيخ اسم دوجلاس فى الوحل !

ملدرد : من حيث نبع . وداعاً يا عمتى ، ولا تصلى كثيراً لكى أقع فى نار الفرن .

العمة : رقيعة .

ملدرد : [بشراسة] أيتها العجوز الشمطاء !

[تلطم عمتها على وجهها فى إهانة وتبتعد وهى تضحك بانشراح] .

العمة : [تصرخ وراءها] قلت إنك رقيعة .

[ستار]

المنظر الثالث

[فتحة الفرن ، فى المؤخرة شكل مظلم لاتساع الأفران والغلايات ، وفى أعلى الرأس مصباح كهربى معلق يلقى بصيصاً من الضوء خلال الجو المعتم ، المحمل بتراب الفحم ، الذى يكدس كتلا من الظلال فى كل مكان . صف من الرجال ، عراة حتى خصورهم ، يقفون أمام أبواب الفرن ، منكبين على عملهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة ، يقبضون على الجراف كما لو كانت جزءاً من أجسادهم ويترنحون فى إيقاع غريب أحمق . يفتحون بالجراف أبواب الفرن فيندلع من فوهاتها المشتعلة فيضان مرعب من الضوء والحرارة يغرق الرجال الذين يبدون فى وضع الغوريللا المتوحشة ، المقيدة بالأغلال . يجرف الرجال بحركة إيقاعية ، ويترنحون آخذين من أكوام الفحم الراقدة خلفهم على الأرض ما يلقون به فى الفوهات

الملتهبة التى أمامهم . وثمة جلبة من الضوضاء تحدثها الصلصلة النحاسية لأبواب الفرن وهى تنفرج مفتوحة أو تنطبق مغلقة ؛ كما يحدثها الاحتكاك ، وشحذ الصلب وتكسير الفحم . ومع أن هذا التصادم بين الأصوات يصم الأذن بتنافره ، إلا أن فيه نغماً ، ونظاماً ، وإيقاعاً ، وتكراراً آلياً منتظماً ، وفضلا عن هذا كله فهناك الهواء الذى يدوى كأنه العاصفة بفعل زئير اللهب المتصاعد من الأفران ، والماكينات التى تدق بعنف واطراد .

وعندما ترتفع الستار تغلق أبواب الفرن ، ويأخذ الرجال نوبات الراحة . واحد منهم أو إثنان يعدان الفحم الذى فى الخلف ، ويحزمانه فى مزيد من الأكوام لتكون فى متناولهم ، بينما الآخرون يمكن تبينهم بغير وضوح ، وهم مائلون على جرافهم فى أوضاع متراخية بسبب الانهاك] .

بادى : [من مكان ما فى الصف ، شاكيا] ألا تنتهى هذه الحراسة الملعونة أبدا ؟ لقد انكسر ظهرى وتحطم كيانى .

يانك : [من وسط الصف – باحتقار مفرط] أوه ، إنك تشعرنى بالغثيان ! فلترقد وتنعق ، لم لا تفعل ؟ دائماً تشكو ، هذا هو أنت ! قل لى ، ما رأيك فى هذا

الحزام ، إنه مصنوع من أجلى ، إنه غذائى المفضل ، أتفهمنى ![تنطلق الصفارة من موضع فوق الرأس ، تصدح فى الظلام ، ويانك يلعن فى غير مبالاة] إنه المهندس الملعون يلوح بالسوط ويظننا نائمين .

بادى : [منتقما] قاتله الله !

يانك : [فى لهجة اعتزاز آمرة] هيا ، أيها الرجال ! انطلقوا إلى العمل ! إنها جائعة ! قدموا لها الطعام ! ألقوه فى جوفها ! هيا الآن، أيها الرجال ! افتحوها على المصراعين !

[ومع هذه العبارة الأخيرة يسرع جميع الرجال ، الذين كانوا قد اتخذوا أماكنهم تبعا لأوامره ، إلى فتح أبواب الفرن فى صوت يصم الآذان . وعندما يميلون على الفحم ، يفيض الضوء الملتهب على أكتافهم ، وتشق نهيرات العرق القاتم طريقها فوق ظهورهم ، وتشكل العضلات الضخمة حزما عالية من الضوء والظل] .

يانك : [يجرف من غير أن يبدى تأثره مرددا فى تنغيم] واحد .. اثنين .. ثلاثة [يرتفع صوته فى فرحة

الظافر بالمعركة] هذا هو الطعام ! دعوها تتناوله الآن ! اقذفوها به ! إجعلوها تمخر عباب البحر ! ادفعوها إلى الأمام ! قيسوا الحركة ، وراقبوا الدخان ، وارفعوا السرعة ، واعطوها الفحم أيها الرجال ! الفحم هو خمرها ، فاسكرها يا بابى حتى الثمالة ، ودعنا نرى همتك ! دعنا نرها تذ — ذ — هب [وهذه العبارة الأخيرة المصحوبة بالإيقاع ، تستحث الرجال . ويغلق يانك باب الفرن باندفاع فيفعل مثله الآخرون بقدر ما تسمح لهم أجسامهم المرهقة . ويمرون واحدا وراء الآخر بعيونهم التى يكاد يخرج منها الشرار والتى يسمع معها وصد الأبواب] .

بادى : [متأوها] انكسر ظهرى ، لقد تحطمت .. تحطمت .. [تسود فترة صمت ، ثم تنطلق الصفارة ثانية من الناحية المعتمة فوق المصباح الكهربى ، وتتعالى صيحات اللعن من كل جانب] .

يانك : [ملوحا بقبضته إلى أعلى .. بازدراء] مهلا

يا عزيزى ! فمن ذا الذى تظن أنه يسير السفينة ، أنا أم أنت ؟ عندما أتهيأ أنا تتحرك السفينة ، وليس قبل ذلك ، عندما أتهيأ أنا ، أتفهمنى !

أصوات : [باستحسان]
هذا هو الكلام !
قل له يا يانك !
يانك لا يُرْهَب !
أحسنت يا يانك !
إدفعه إلى النار !
قل له إنه خنزير دميم !
أو عبد قبيح !

يانك : [بامتعاض] إنه فاقد الأعصاب ؟ إنه أصفر ، أتفهمون قولى ؟ كل المهندسين صفر إنهم لا يحركونها ميلا واحدا . أوه ، فليذهبوا إلى الجحيم ولنتحرك نحن أيها

الرجال ! أخذنا راحتنا ، وهاهي فى حاجة إلينا ! إدفعوها إلى الأمام ، ليس ذلك من أجله ولا من أجل صفارته لأنه غير أصيل أما نحن فأصلاء . نحن الذين نمدها بالطعام ، هيا أيها الرجال . [يستدير ويدفع باب الفرن فيفتحه ، والجميع وراءه يتبعون قيادته وفى هذه اللحظة يدخل المهندسان الثانى والرابع وبينهما ملدرد من الجانب المعتم إلى اليسار . تتقدم ملدرد وقد بدت شاحبة الوجه ، خائرة القوى ترتعد خوفا بالرغم من الحرارة الشديدة . ترغم نفسها على أن تترك المهندسين ، وتتقدم بضع خطوات بالقرب من الرجال حتى تصبح على اليمين خلف يانك على خط مستقيم ويحدث كل هذا بسرعة بينما يدير الرجال ظهورهم] .

يانك : هيا ، يا رجال [وعند ما يستدير ليأتى بالفحم ، تنطلق الصفارة مرة أخرى بطريقة مثيرة تدفع يانك إلى الهياج المفاجىء . أما الرجال الآخرون فيستديرون حولهم ويقفون مشدوهين بمنظر ملدرد وهى فى ثوبها الأبيض . ولم يستدر

يانك كثيراً ليراها بل ألقى برأسه وأخذ يبحث خلال العتمة محاولا العثور على الشخص الذى يطلق الصفارة . يرفع جاروفه بإحدى يديه متوعدا ، ويدق على صدره بيده الأخرى متخذا شكل الغوريللا ويصيح] اقفل هذه الصفارة ! وانزل إلى هنا أيها الصفراوى ! انزل وأنا أحطم رأسك ! أيها القذر ، أيها العفن ، أيها اللقيط ! انزل وأنا أقتلك ! أتطلق هذه الصفارة فى وجهى؟ والله لأرينك ! سوف أحطم جمجمتك ، وانتزع أسنانك . سوف ألصق أنفك خلف رأسك ، وأمزق أمعاءك ! أيها الغبى الأحمق ، أيها القذر ، أيها العفن ، أيها العصف المأكول ، يا ابن الـ . . . [وفجأة يشعر بالرجال الآخرين وهم يحدقون فى شىء ما خلف ظهره مباشرة .. فيستدير مدافعا عن نفسه وهو ينبح ، ويصدر صيحات عالية . ويجثو على ركبتيه مستعدا للقفز وقد انزاحت شفتاه عن أسنانه ، وأبرقت عيناه الصغيرتان بصورة وحشية . ويرى

ملدرد وكأنها الشبح الأبيض فى الضوء المتدفق من أبواب الفرن ، فيحدق فى عينيها وقد استحال إلى حجر . أما هى فكانت تنصت لكلامه مشلولة من الخوف والفزع ، وقد انمحت شخصيتها وأصابها الانهيار من جراء هذه الصدمة المفزعة ، وهذا الشخص المهول وما هو عليه من وحشية مطبقة ووقاحة وقلة حياء . وعندما تنظر إلى وجهه الشبيه بوجه الغوريللا ، تقع عيناه على عينيها فتخرج صيحة أليمة ، وصرخة مخنوقة ، وتبتعد واضعة يديها أمام عينيها لتخفى وجهه ، وتحمى نفسها . ويستجيب يانك لذلك وقد فغر فمه وزاغت عيناه]

ملدرد : [فى شبه إغماء .. وبكلمات متقطعة إلى المهندسين اللذين أمسكا بها كل من ذراع] ابعدونى ! عن ! الوحش المفترس ! [يغمى عليها ، فيحملانها بسرعة إلى الخلف إلى أن يختفوا جميعا فى العتمة إلى يسار المؤخرة . يغلق باب حديدى باندفاع ، وتغشى يانك سورة من الغضب والارتباك ، ويشعر كأنما أهين بطريقة منكرة فى صميم ما لديه من كبرياء ، ويجأر] عليك لعنة الله !

[يقذف بجاروفه وراءهم نحو الباب الذى يغلق فى الحال ، فيصيب الجاروف الكوة الصلب محدثا صلصة ، ويسقط مجلجلا على الأرض ومن أعلى تنطلق الصفارة ثانية فى نوع من الأمر ، بشدة وغضب وإصرار .]

[ســتار]

المنظر الرابع

[منارة الوقادين . يانك وقد انتهت نوبته وتناول الغذاء . وجوههم وأجسامهم لامعة من أثر الحك بالصابون والماء ، وحول أعينهم حيث لا يلمسه التنظيف السريع ظل تراب الفحم لاصقاً كما فى حالة تزجيج الحواجب مما يكسبهم تعبيراً غريباً قاتما . أما يانك فلم يغسل وجهه ولم يغتسل ولذا فهو – على النقيض منهم كالشبح الأسود العريض – جالس على أريكة إلى الأمام ، متخذاً وضع تمثال « المفكر » لرودان . الآخرون وأغلبهم يدخنون البيبة ، يحملقون فى يانك بشىء من الخوف كأنهم يخشون انفجاره ، وبشىء من التسلية كأنهم يجدون فى مكان ما الدعابة التى تستثيرهم .]

أصوات : لم يأكل شيئاً .

حقا ! على الشخص أن يقابله وجها لوجه .

هذا كذب أيها الشيطان .

يانك يهتم بالنار ولا يهتم بوجهه .

ها .. ها .

ولا حتى يستحم ؟

نسى ذلك .

هيه ، يانك ، هل نسيت أن تستحم .

يانك : [ضجرا] لم أنس شيئاً ، ولتحترق أنت والاستحمام .

أصوات : سيلصق بك الرماد .

سيدخل فى جلدك .

يصيبك بالحك الدامى هذا ما نخشاه .

ستترقى بقع على جسمك .. كالفهد .

تقصد كالزنجى الملون ؟

أحسن لك أن تستحم يا يانك ؟

لكى تستريح فى النوم .
استحم يا يانك .
استحم ! استحم !

يانك : [متبرما] أوه ، أيها الصبيان ، دعونى وشأنى ، ألا ترون أننى أحاول أن أفكر . . ؟

الجميع : [يرددون الكلمة وراءه فى وقت واحد وبتهكم لاذع] تفكر ! [يدوى للكلمة رنين معدنى كما لو كانت حناجرهم أبواق فونوغراف ، ويعقبها كوس من الضحك الأجش الذى يشبه النباح] .

يانك : [يندفع واقفا على قدميه ، محدقا فيهم بنظرة القتال] نعم أفكر ! أفكر ! أفكر ، هذا هو ما قلته ! فهل فى ذلك عيب ؟

[يصمتون حائرين لتبرمه المفاجىء الذى اعتادوا أن يكون إحدى دعاباته . يجلس يانك ثانية فى نفس وضع « المفكر »] .

أصوات : دعوه وشأنه . .

أصابه التجهم .

ولم لا ؟

بادى : [وهو يغمز للآخرين] أنا أعرف ما فى الأمر ، والأمر بسيط جداً ، إنه وقع فى الحب .

الجميع : [يرددون الكلمة وراءه فى وقت واحد وبتهكم لاذع] الحب ! [يدوى للكلمة رنين معدنى كما لو كانت حناجرهم أبواق فونوغراف ، ويعقبها كورس من الضحك الأجش الذى يشبه النباح] .

يانك : [بشخير وفى ازدراء] الحب ! إلى الجحيم بالحب ! الكراهية هى الشىء المعقول ؛ وقعت فى الكراهية ، هل تفهمون ؟

بادى : [بفلسفة] المسألة تحتاج إلى حكيم ليشرح الفرق بين الحب والكراهية . [بازدراء تهكمى لاذع يتزايد كلما استطرد فى الكلام] ولكنى أقول لكم إن المسألة فيها حب ،

وإلا فماذا غير الحب بالنسبة لنا ، نحن الحيوانات المسكينة فى فتحة الفرن ، يمكنه أن يجذب سيدة رقيقة كأنها ملكة فى ثيابها البيضاء فتنزل ميلا من السلالم والدرجات لتلقى علينا نظرة [زئير من الغضب يتعالى من كل جانب]

يونج : [يقفز على إحدى الأرائك .. هائجا] إنها تهيننا ! إنها تهيننا هذه البقرة الدميمة ! وهؤلاء المهندسون السفاحون ، ما حقهم فى أن يعرضونا كأننا قردة دميمة فى حظيرة ؟ هل وقعنا على إهدار كرامتنا باعتبارنا عمالا شرفاء ؟ هل كان ذلك فى عقد الاتفاق ؟ ولكن هل تعلمون أيها الرفاق لم فعلوا ذلك ؟ سألت خادما على ظهر السفينة فقال لى إنها ابنة رجل عجوز ، مليونير بشع ، رأسمالى سفاح ، عنده من الذهب ما يكفى لإغراق هذه السفينة ! إنه ينتج

نصف حاجة العالم من الصلب ، ويمتلك هذا القارب . وأنا وأنتم عبيده ! والربان والملاحون والمهندسون عبيده ! وهى ابنته ونحن جميعا عبيدها ! فإذا أصدرت من الأوامر ما تشاء لترى الحيوانات الدميمة التى تعمل تحت سطح السفينة سرعان ما نزلوا بها إلى هنا . [زئير من الهياج يتعالى من كل جانب] .

يانك : [ناظرا إليه بذهول] ماذا تقول ! انتظر قليلا ! هل كل ما تقوله مضبوط ؟

اونج : مضبوط كالوتر ! والخادم الذى يقوم بخدمتهم هو الذى قال عنها هذا الكلام . والآن ماذا نفعل ؟ هل نبتلع إهانتها كالكلاب ؟ إن ذلك لم يكن ضمن مواد الاتفاق . إننى أقول لكم إن لنا قضية ، ونستطيع أن نلجأ إلى القانون .

يانك : [بازدراء مطبق] ليحترق القانون !

الجميع : [يرددون الكلمة وراءه فى وقت واحد ويتهكم لاذع] القانون ! [يدوى للكلمة رنين معدنى كما لو كانت حناجرهم أبواق فونوغراف ويعقبها كورس من الضحك الأجش الذى يشبه النباح] .

لونج : [كمن يشعر بأن الأرض تميد تحت قدميه .. وبيأس] إننا باعتبارنا ناخبين ومواطنين نستطيع أن نرغم الحكومات .

يانك : [بازدراء مطبق] لتحترق الحكومات !

الجميع : [يرددون الكلمة وراءه فى وقت واحد ويتهكم لاذع] الحكومات ! [يدوى للكلمة رنين معدنى كما لو كانت حناجرهم أبواق فونوغراف ويعقبها كورس من الضحك الأجش الذى يشبه النباح] .

لونج : [بعصبية] إننا أحرار ومتساوون أمام الله .

يانك : [بازدراء مطبق] ليحترق الشيطان !

الجميع : [يرددون الكلمة وراءه فى وقت واحد ويتهكم لاذع] الشيطان ! [يدوى الكلمة رنين معدنى

كما لو كانت حناجرهم أبواق فونوغرف ويعقبها كورس من الضحك الأجش الذى يشبه النباح] .

يانك : [بفتور] أوه . التحق بجيش الخلاص !

الجميع : اجلس ! اخرس ! أيها الغبي الأحمق ! أيها المحامى الفاشل ! [يتسلل لونج مختفيا عن الأنظار]

بادى : [مستمراً فى تيار تفكيره كأن أحداً لم يقاطعه .. وبمرارة] وهناك كانت تقف وراءنا ، والمهندس الثانى يشير إلينا كأنه ذلك الرجل الذى تسمعه فى السيرك وهو يقول : فى هذا القفص نوع من البابون أغرب مما تجدونه فى مجاهل أفريقيا . ونحن نشويهم فى عرقهم .. وعليك اللعنة إذا لم تسمع بعضهم يقول إنه يحب ذلك ! [يحدق فى يانك باحتقار]

يانك : [يزأر بحيرة وارتباك] أوه !

بادى : وهناك كان يانك يجأر باللعنات ويستدير

بجاروفه ليحطم رأسها ... ونظرت إليه ونظر إليها ...

يانك : [ببطء] كانت كاملة البياض حتى ظننت أنها شبح .

بادى : [بسخرية ثقيلة لاذعة] كان حبا من أول نظرة . لا ريب بحق الشيطان ! لو أنك رأيت نظرة الود على وجهها الشاحب عندما استدارت ويداها على عينيها لتحجب منظره ! لا شك أنها كانت كمن رأى قردا ضخماً كثيف الشعر فر من حديقة الحيوان !

يانك : [كالمصعوق ... بزمجرة من الغيظ] أوه !

بادى : وفى هيام ، قذف يانك جاروفه نحو رأسها إلا أنها كانت خارج الباب ! [تعلو وجهه ابتسامة] ألم أقل لكم إنها كانت مثيرة ! وضعت كل إثارتها فى فتحة الفرن .

[ينفجر الجميع بالضحك]

يانك : [يحدق فى بادى متوعداً بطريقة آلية] أوه ، اقفل هذا الموضوع !

بادى : [غير مكترث له ... إلى الآخرين] وتعلقت محتمية بذراع المهندس الثانى [بتقليد مضحك لصوت امرأة] قبلنى ياعزيزى المهندس ، فالمكان هنا مظلم ، وأبى العجوز فى « وول ستريت » يجمع المال ، احضنى بعنف يا حبيبى فأنا خائفة فى هذا الظلام ، وأمى على ظهر السفينة تتبادل النظرات مع الربان ! [انفجار آخر من الضحك]

يانك : [مهدداً] قل لى ماذا تريد أن تفعل أيها القيثار العجوز ؟

بادى : بحق الشيطان ! ألم أكن أتمنى لك أن تحطم رأسها ؟

يانك : [بوحشية] سأحطم رأسها . . سأحطم رأسها فيما بعد ، انتظر وسوف ترى ! [يتقدم نحو بادى ببطء] قل لى ، أهذا هو ما قالته عنى .. قرد كثيف الشعر ؟

بادى : إذا لم تكن قالت الكلمة نفسها ، فإنها نظرت إليك بهذا المعنى .

يانك : [بتكشيرة بشعة] قرد كثيف الشعر ، هيه ؟ لا ريب أنها كانت تنظر إلىّ بهذا المعنى ، قرد كثيف الشعر ، هذا هو أنا ، هيه ؟ [ينفجر غاضباً ... كأنها لا تزال واقفة أمامه] أيتها الفطيرة الهزيلة ! أيتها الشاحبة المتسكعة ! سأريك من هو القرد ! [ملتفتاً إلى الآخرين وقد تملكه الارتباك مرة ثانية] وأنتم أيها الرجال ، سمعتمونى أصيح فيه وهو يطلق علينا الصفارة . ثم رأيتكم تنظرون إلى شخص ما فظننت أنه يتسلل لينقض علىّ من الخلف ، واستدرت بالجاروف لأرديه قتيلا ، فإذا بها هناك وعليها هالة من نور ! بحق المسيح ، كنتم تستطيعون أن تدفعونى بلمسة إصبع لأننى كنت

فزعا ! حقا ظننت أنها شبح ، إذ كانت ترتدى ثيابا ناصعة البياض ، إنكم رأيتموها فهل تقدرون على لومى ؟ إنها غير أصيلة ، هذا كل ما فى الأمر ، ولذا عندما رجعت ، ورأيت أنها شىء حقيقى ، وأنها تنظر إلى كما قال بادى ، بحق المسيح ، فقدت أعصابى ، فأنا لا أحتمل هذا الهذر من أى إنسان ، ولذا قذفتها بالجاروف ، لولا أنها تحاشته . [بهياج] لكم تمنيت لو أصابها ! لكم تمنيت لو أرداها قتيلة !

لونج : وتشنق بجريمة قتل ، أو توضع على الكرسى الكهربى ؟ إن هذه الدميمة لا تساوى شيئا .

يانك : أنا لا أستسلم لشىء ، ولا بد أن أتقابل معها ، أتظن أننى أتركها تفضل على أحدا ؟ أم تظن أننى أتركها تنجو بهذا

الهذر ؟ إنك لا تعرفنى ! لم يحدث أن فضل أحد علىّ شيئا ونجا ، سواء أكان شابا أم فتاة ، وخاصة فى هذا النوع من الهذر . سوف أوقفها عند حدها ! ربما تنزل مرة ثانية ...

أحد الأصوات : لا أمل يا يانك ، إنك أحدثت لها فزعا سيعطل نموها عاما .

يانك : أنا أفزعتها ؟ ولم أفزعها بحق الجحيم ؟ ومن هى بحق الشيطان ؟ أليست مثلى ؟ قرد كثيف الشعر هيه ؟ [مزهواً باعتداده القديم] سأريها أننى أفضل منها إذا لم تكن تعلم . إننى أصيل وهى غير أصيلة ، إننى أتحرك وهى ساكنـة ! خمس وعشرون عقدة فى الساعة ، هذا هو أنا ! أنا الذى أحملها ، ولا شك أنها ليست أكثر من متاع ! [وقد عاوده الارتباك] ولكن ، بحق المسيح ، كم كانت مضحكة ! هل رأيتم يديها ؟ هزيلة

بيضاء يمكنكم رؤية ما فيها من عظام . وثوبها كان هو أيضاً فى مثل بياض الموتى . وعيناها كأنما قد وقعتا على شبح ! ولا شك أننى كنت هذا الشبح ، قرد كثيف الشعر ، شبح هيه ؟ انظروا إلى تلك الذراع ! [يمد ذراعه اليمنى مبرزاً عضلاتها الضخمة] كنت أستطيع أن أمسكها بذراعى ، بل حتى بخنصرى وأكسرها نصفين . [وقد عاوده الارتباك] قولوا لى ، من هى هذه الفتاة ؟ ماذا تكون ؟ ومن أين جاءت ؟ ما أصلها ؟ ومن أعطاها الحق فى أن تنظر إلى تلك النظرة ؟ إنها أفقدتنى صوابى ، ولا أدرى كيف أسبر غورها ، إنها جديدة على وإلا فماذا تعنى مثل هذه الفتاة ؟ إنها غير أصيلة ، ولا أستطيع أن أسيغها . [بغضب متزايد] ولكنى أعرف شيئاً واحداً ، هو أنكم جميعاً تستطيعون أن تراهنوا على أننى

سأتمكن منها . سأريها إذا كانت تظن أنها . . . أنها تعزف على الأرغن وأنا على الوتر ، هيه ؟ سأوقفها عند حدها ! دعوها تنزل مرة ثانية وأنا أقذف بها إلى الفرن ! هناك سوف تتحرك ! وهناك سوف لا ترتجف ! هناك سوف تسرع ! وهناك سوف تكون أصيلة !
[يكشر ببشاعة]

بادى : لن تأتى أبدا ، إنها شبعت منك كما قلت لك ، وأظن أنها الآن فى فراشها ، ومعها عشرة أطبـــاء وممرضات يزودونها بالأملاح ليزيلوا عنها الخوف .

يانك : [ساخطا] وأنت أيضاً ، تظن أننى سببت لها المرض ؟ وبمجرد النظر إلى ؟ قرد كثيف الشعر ، هيه ؟ [فى سورة من الهياج] سأوقفها عند حدها ! سأريها من أين تهرب ! فإما أن تأتى راكعة

على ركبتها وتسحب كلمتها وإلا بصقت
في وجهها ! [يلوح بإحدى قبضتيه في الهواء ،
ويضرب على صدره بالأخرى] سوف أعثر
عليك ! إنني قادم ، هل تسمعين ؟
سأوقفك عند حدك ، عليك لعنة الله !
[يندفع نحو الباب]

أصوات : أوقفوه !

سيطلقون عليه النار !

سيقتلها !

امنعوه !

امسكوه !

جن جنونه !

ما أقواه !

اطرحوه على الأرض !

ارفسوه !

كتفوه !

[تكوموا جميعاً فوقه ، وبعد صراع عنيف ،

تمكنوا بكثرة عددهم من طرحه على الأرض داخل الباب مباشرة]

يادى : [الذى ظل مبتعداً] أبقوه على الأرض حتى يهدأ . [باحتقار] يانك ، يا لك من غبى كبير ! هل تظن أنها تلتفت إليك وإلى أمثالك ، هذه الخنزيرة الهزيلة التى ليس فيها نقطة واحدة من الدم ؟

يانك : [من تحت هذه الكومة ، بتشنج] إنها جعلتنى أحمق ! جعلتنى أحمق ! ألم تفعل ذلك ؟ لا بد أن أتقابل معها ! ولا بد أن أتمكن منها ! أبعدوا عنى أيها الصبيان ! دعونى أنهض ! سأريها من هو القرد !

[ستار]

المنظر الخامس

[بعد مضى ثلاثة أسابيع ، ناصية الشارع الخامس بنيويورك ، فى الخمسينات من القرن ، فى صباح يوم جميل من أيام الأحد ، جو عام من طريق نظيف ، منسق ، متسع ، وشمس مشرقة هادئة ، ونسيم عليل لطيف . فى المؤخرة واجهتا محلين ، أحدها محل مجوهرات ويقع على الناصية ، ويليه الآخر وهو محل فراء . ولقد عرضت فيهما زينة الثروة الفاحشة بشكل مثير ، فواجهة الجوهرى مزدهاة بالماس البراق ، والزمرد ، والياقوت ، واللؤلؤ . . . الخ مطرزة فى تيجان مزخرفة ، وأساور ، وعقود ، وأطواق . . . الخ ، يتدلى من كل قطعة شريط ضخم رسم عليه الدولار والأرقام فى أنوار كهربية متقطعة تومض بالأسعار غير المعقولة . ومثل هذا فى محل الفراء حيث علقت أنواع الفراء الوثير غارقة فى طوفان من الأنوار

الصناعية . والأثر العام هو محيط من الفخامة أرخصته الروح التجارية وجعلته متناقضا . . . فى نفس الشارع وسط من الزينة غير المتجانسة مع النور الساطع والشمس المشرقة . يأتى يانك ولونج من أول الشارع الجانبى يتمايلان ، لونج مرتـدياً ملابس الشاطىء ورباط عنق أسود من نوع « وندسور » ، وطاقية من القماش . يانك فى سرواله القذر ، يتدلى من جانب رأسه غطاء رأس الوقاد ذو الطرف الأسود بشىء من التحدى . لم يحلق لعدة أيام ، وحول عينيـه الشرستين المتبرمتين ، كما حول عينى لونج ولكن بدرجة أقل ، لا يزال الهباب الأسود لتراب الفحم كما فى حالة تزجيج الحواجب . يترددان ويقفان معاً على الناصية ، يتمايلان وينظران حولهما بازدراء ، وتحد مغتصبين] .

لونج : [مشيراً إلى هذا كله بحركة خطابية] حسنا ، ها نحن فى الشارع الخامس ، فى الممر الخاص بهم وكأنه وقف عليهم [بمرارة] إننا هنا متطفلون ، ابتعدوا عن العشب أيها الصعاليك !

يانك : [بغباء] أنا لا أرى عشبا ، أيها الغبى . [محدقاً فى طريق المارة] إنه نظيف أليس

كذلك ؟ إنك تستطيع أن تأكل عليه بيضة مقلية . كان كنس هذا الشارع عملا لذوى الأجنحة البيض . [ناظراً فى طول الشارع وعرضه .. بمشاكسة] أين ذوو الياقات البيض الذين قلت إنهم هنا .؟ وأين الفتيات على شاكلتها ؟

لونج : فى الكنيسة يتملقون الله ! ويسألون المسيح أن يعطيهم مزيدا من المال .

يانك : كنيسة ، هيه ؟ ذهبت مرة إلى الكنيسة عندما كنت طفلا . أبى وأمى العجوزان هما اللذان ساقانى إليها وإن لم يذهبا إليهـا أبداً ، إذ كانا يصابان بالصداع باستمرار صباح يوم الأحد . [بابتسامة] كان كلاهما يستسلم للسوق ، وفى أمسيات السبت بعدما يتناولان قربة من الخمر يتمددان على أريكة فى الحديقة ، فإذا ما تناولا «قروانة» لا تجد رجلا لكرسى

أو مائدة ، هذا وإلا قفزا على بشيء ما
فأنال ما أستحق من العقاب [بابتسامة وزهو]
إننى شظية من كتلة عتيقة ، أتفهمنى ؟

لونج : هل عمل أبوك فى البحر ؟

يانك : لا ، كان يعمل على الشاطئ . وهربت عندما سامتنى أمى ألوان العذاب ، واشتغلت فى النقل ، وفى السوق ، ثم على السفينة فى فتحة الفرن ، فذلك هو العمل الأصيل ، أما الباقى فلا شىء . [ناظراً حوله] إننى لم أر ذلك من قبل ، رصيف «بروكلين» . هذا هو المكان الذى جرونى إليه [يستنشق نفساً عميقاً] وليس هذا قبيحاً كذلك ، هيه ؟

لونج : ليس قبيحاً ؟ إننا ندفع ثمنه بعرقنا الغزير ، إذا أردت أن تعرف ؟

يانك : [باشمئزاز وغضب مفاجئ] أوه يا للجحيم !

إنى لا أرى أية واحدة تشبهها ، وكل هذا يؤلمنى . إنها غير أصيلة . قل لى ، ألا يوجد مرحاض بجوار هذا المخزن ؟ دعنى أذهب إليه لعله أنظف وأهدأ وأكثر غباشة . إنها تسبب لى الآلام .

لونج : انتظر أيها الدميم وسوف ترى . . .

يانك : أنا لا أنتظر أحدا بل استمر فى الحركة . قل لى ، لماذا سحبتنى إلى هنا ولأى سبب ؟ هل تحاول أن تخدعنى أيها الساذج ؟

لونج : ألا تريد أن ترجع إليها ؟ ذلك ما كنت تقوله فى كل ساعة منذ أهانتك .

يانك : [بعنف] لا شك أن هذا ماكنت أريد . ألم أحاول الوصول إليها فى «ساوثمبتون» ؟ ألم أتسلل إلى ظهر السفينة وأنتظرها على الصقالة ؟ ألم تر أننى كنت سأبصق

على وجهها الشاحب وعينها الجاحظتين !
هذا ما كنت سأفعله ، ولكن لم تتح لى الفرصة ، كان حولها جيش بأكمله من ثيران الرجال ذوى الملابس الناعمة لحونى ودفعونى بعيداً فلم أرها . ولكنى سأقابلها وسوف ترى [باهتياج] تلك الفطيرة المائعة ! تظن أنها تستطيع أن تنجو بها ... ولكن ليس هذا معى ! سأحصرها ! سأجد سبيلا .

لونج : [مشمئزاً بقدر ما يجرؤ] أليس ذلك ما جعلنى أحضرك إلى هنا ... لكى ترى ؟
كنت تنظر إلى الأمر بطريقة خاطئة ، وكنت تتصرف وتتكلم كأنها مسألة شخصية بينك وبين تلك البقرة العجفاء ، فأردت أن أقنعك بأنها لم تكن إلا ممثلة لطبقتها ، كما أردت أن أوقظ فيك وعيك الطبقى . وعندئذ ترى أنه ليست

هى وحدها التى يجب أن تحاربها بل طبقتها كلها ، فهناك جمهور بأسره على شاكلتها ، أعماهم الله !

يانك : [يبصق فى يديه متحفزاً للقتال] كلما ازداد عددهم كان ذلك أفضل ، لنبدأ ، ولتحضر هذه العصابة !

لونج : ستراهم بعد لحظة ، عندما تخرج الكنيسة . [يستدير فيرى معروضات واجهتى المتجرين لأول مرة] ما أعمانى . أنظر ، ألا ترى ذلك ؟ [يتراجع كل منهما ويقف ناظراً إلى محل المجوهرات، لونج يكاد يطير من الغيظ] انظر إلى هذه المتاهة المتوهجة ! انظر إليها ! انظر إلى أثمانها الباهظة ... أكثر مما نعرق به جميعا فى عشر رحلات أمام فتحة الفرن ! بينما هم – هى وطبقتها القاتلة – يشترونها حلى تتدلى من رقابهم ! إن واحدة من هذه الأشياء تشترى ما يكفى عائلة متضورة لمدة عام !

يانك : أوه اترك هذا العويل ! ولتذهب العائلة المتضورة إلى الجحيم ! [بإعجاب ساذج] قل لى ، ألا ترى أن هذه الأشياء جميلة ؟ أراهنك أنها تكاد تكون كالعملة . [ثم يستدير متعضاً] ولكن ، بحق الجحيم ، ما فائدة هذه الأشياء ؟ دعهم يحصلون عليها ، إنها أشياء ليست أصيلة . [بإيماءة تجرف كل تجار المجوهرات إلى زاوية النسيان] هذا كله ليس له حساب ، أتفهمنى ؟

لونج : [الذى كان قد انتقل إلى محل الفراء ... حاقداً] وأظن أن هذا أيضا ليس له حساب .. جلود حيوانات مسكينة عزلاء ، تذبح لتقى أنفها وأنف أمثالها ... من البرد !

يانك : [الذى كان يحدق فى شىء ما بالداخل . . . بجيشان غريب] انظر إلى ذلك ! اقرأ ما عليه ... فراء نسناس ... ألفان من

الدولارات [بذهول] هل هذه بضاعة حقيقية ... فراء نسناس ؟ ماذا يحق الجحيم ... ؟

لونج : [بمرارة] حقيقية جدا [بسخرية قاتمة] ولكنهم لا يدفعون هذا الثمن الباهظ فى جلد قرد كثيف الشعر ... كلا ، ولا فى القرد الحى بأكمله ، بكل ما فيه من رأس وجسد وروح !

يانك : [يضم قبضتيه ويزداد وجهه شحوباً وغضباً كأن الجلد الذى فى النافذة إهانة شخصية له] يلقون به فى وجهى ! يا للمسيح ! سأوقفها عند حدها !

لونج : [بتحريض] لقد خرجت الكنيسة ، وها هم قادمون ، العصابة القذرة . [بعد ما يلقى نظرة على وجه يانك المطأطئ ... بضيق] هون عليك أيها الرفيق ، تمالك أعصابك ، وتذكر أن العنف يحيق

بأهله . فهو ليس سلاحنا ، ويجب علينا أن نفرض مطالبنا بالطرق السلمية ... بأصوات الكادحين التى تتزايد فى العالم !

يانك : [بازدراء مطبق] لتذهب الأصوات إلى الجحيم ! ألا ترى أن الأصوات أضحوكة ! ألا ترى أنها مسألة تمارسها النساء !

لونج : [بضيق متزايد] اهدأ الآن ، وعاملهم بالاحتقار اللائق ، وراقب هؤلاء المتطفلين ، وأنت محتفظ بأعصابك .

يانك : [غاضبا] ابتعد عنى ! إنك صفراوى ، العنف هو أسلوبى ، والضرب هو طريقتى فى كل حين ، هل تفهم !

[تدخل الجماعة الخارجة من الكنيسة من الجانب الأيمن تتبختر فى تصنع وهوادة . رءوسهم مرفوعة لا يلتفتون يمنة ولا يسرة ، ويتكلمون بأصوات متكلفة خالية من النبرات . النساء مخضبات ، متبرجات ، مصبغات ، مثقلات بالملابس إلى الدرجة اللامتناهية ، أما الرجال ففى زى الأمير « ألبرت »

قبعات عالية ، وسراويل وعصى الخ ، فهن موكب من العرائس المزخرفة ومع ذلك ففيهن شيء مرعب مخيف مثل الذى تتميز به غيلان فرنكنشتين فى تفردها وعدم اكتراثها الآلى] .

أصوات : إن عزيزنا الدكتور سيفاس ! رجل مخلص جداً جداً .

ماذا كانت الموعظة ؟ كنت نائماً .

عن الراديكاليين ياعزيزى ، وعن المذاهب الزائفة التى يروج لها .

يجب أن ننظم سوقا أمريكية مائة فى المائة .

ويسهم كل فرد بواحد على مائة فى المائة من ضريبة دخله .

يالها من فكرة أصيلة !

ونستطيع أن نوقف الريع على تجديد ستار المعبد .

ولكنه جدد مرات كثيرة .

يانك : [يحملق فيهم واحداً تلو الآخر ، بشخير من الازدراء المهين] هيه ! هيه ! [ينحرفون

انحرافات واسعة دون أن يبدو عليهم أنهم رأوه لكى يتجنبوا المكان الذى يقف فيه وسط طريق المارة].

لونج : [بفزع] اخرس ، قلت لك اخرس .

يانك : [بحنق] اغرب! وقل ذلك « لسوينى » !

[يتطوح مبتعدا ، ويتعمد الاندفاع فى أحد السادة ذوى القبعات العالية ، ثم يحملق فيه بشراسة]

قل لى ، من هذا الذى تحاول أن تتفاداه ؟

أتظن أنك قد امتلكت الأرض ؟

السيد : [ببرود وتكلف] التمس المعذرة . [ولم يكن قد نظر إلى يانك ويمر دون أن يلقى عليه نظرة تاركاً إياه حائراً]

لونج : [مندفعاً وممسكاً بذراع يانك] هيا بعيدا ! فلم أكن أقصد ذلك . ستعرضنا لقبضة رجال الشرطة .

يانك : [يدفعه بوحشية تجعله ينطرح على الأرض]

اغرب عنى !

لونج : [ينهض ... وبعصبية] إذن فسأذهب . ولتعلم أننى لم أكن أقصد ذلك ، ومهما

يحدث لك ، فلا تلق عليّ اللوم [يخرج من الجانب الأيسر]

بانك : لتذهب إلى الجحيم ! [يقترب من إحدى السيدات ... بابتسامة حاقدة ، وغمزة متكلفة]
أهلا بك ياكيدو ، كيف حال جميع
أمورك الصغيرة ؟ هل عندك شغل الليلة ؟
إننى أعرف غلاية قديمة تحت الأحواض
نستطيع أن نختبئ فيها . [تبتعد السيدة دون أن تنظر إليه ودون أن تغير من خطوتها ، يستدير يانك إلى غيرها ... بطريقة مهينة] ياللعنة !
اذهبى واختفى قبل أن تجفل منك الخيل .
أتتجنبنى يا ذا « البيبة » والوجه القبيح !
قل لى ، ألست تبدو كقارب النجاة ،
طلاء ومساحيق وأشياء تستحق عليها
القتل ! ألست تبدو كالعيدان الجافة
البارزة العظام ! أوه ، ابتعدوا عنى جميعاً !
إنكم تؤذون عينى ، إنكم غير أصلاء ،
أتفهمون ؟ لماذا لا تجسرون على النظر

إلىّ ؟ إننى أصيل ! [مشيراً إلى ناطحة سحاب لا تزال فى طور البناء .. بتفاخر] هل ترون هذا البناء الذى يقوم هناك ؟ هل ترون ما فيه من أعمال الصلب ! هذا الصلب ! هذا الصلب هو أنا ! أنتم تعيشون عليه وتظنون أنكم شىء ما ، ولكننى « فى » داخله ، أتفهمون ؟ أنا الآلة الرافعة التى تقيمه ! أنا هو ... قلبه وقاعه ! ولا ريب ، فأنا الصلب والبخار والدخان وبقية هذه الأشياء ، إنها تتحرك . . . وتسرع . . . خمسة وعشرون طابقا . . . وأنا أتحرك معها فى القمة وفى القاع ! أما أنتم أيها المتعجرفون فلا تتحركون . أنتم مجرد دمى أديرها وأشاهدها وهى تدور . أنتم حثالة ، أنتم قمامة ، أنتم الغبار الذى نلقى به جانبا ! والآن ماذا تقولون ؟ [يستشيط غضباً إذ يراهم لا ينظرون إليه ، ولا يستمعون له] متسكعون ! خنازير !

فطائر ! كلاب ! [يتجه إلى الرجال فى هياج ، ويبرز بينهم فى رذالة ، ولكن بدون أن يحدث لهم أى إزعاج ، بل هو الذى يرتد بعد كل اصطدام ويظل يعوى.] أغرب عن وجه الأرض ! ابتعد أيها المتسكع ! ألا تدرى إلى أين تذهب ؟ اخرج من هنا ! لماذا لا تقاتلنى ؟ ارتد دروعك ولا تكن كلبا ! قاتل وإلا أرديتك قتيلا !

المارة : [يردون عليه بأدب آلى مصنوع ، ولكن بدون أن يبدو عليهم أنهم رأوه] التمس المعذرة .

[وفى أثر صيحة من إحدى النساء يهرعون جميعاً إلى واجهة محل الفراء] :

المرأة : [بانبهار وبشهقة سرور] فراء نسناس !

[تردد الجماعة كلها رجالا ونساء وفى نفس نغمة السرور المصطنع] فراء نسناس !

يانك : [يطرح رأسه خلف كتفيه كأنه تلقى لكمة فى ملء وجهه .. وبهياج] إنى أراك يا ذات الرداء الأبيض ! إنى أراك يا ذات الوجه

الشاحب ! قرد كثيف الشعر ، هيه ؟
أنا الذى سأجعلك قرداً كثيف الشعر !
[ينحنى ويقبض على أسفلت الطريق كأنه يريد أن يخلعه ويقذفها به . وفى أثناء انهماكه ونباحه بألم ، يتجه نحو عامود النور القائم على الناصية ويحاول أن ينتزعه كأنه هراوة . وفى نفس هذه اللحظة يسمع ضجيج «أتوبيس»، ويندفع من جانب الطريق سيد بدين يلبس قبعة عالية وسراويل ملفوفة ويصيح مستغيثاً]
« أتوبيس » ! « أتوبيس » ! قف هناك!
[يندفع بكل قواه فى يانك المنحنى الحائر الذى يفقد توازنه]

يانك : [متوقعا القتال ... فينهض على قدميه وهو يزأر زئير الفرح] أخيرا ! « الأتوبيس » ، هيه ! سأضعك فى «الأتوبيس» ! [يتمايل بشكل مفزع ويهوى بملء قبضته على وجه السيد البدين ، ولكن السيد يقف بلا حراك وكأن شيئاً لم يقع] .

السيد : التمس المعذرة . [وفى تبرم] لقد جعلتنى

أفتقد «الأتوبيس» . [يصفق بيديه ويأخذ فى الصياح] يا بوليس ! يا بوليس ![تدوى فى الحال صفارات الشرطة ، وتندفع نحو يانك من كل جانب فرقة كاملة من رجال البوليس . ويحاول أن يقاتل ولكنهم يضربونه بالهراوات حتى يقع على الرصيف ، أما الجماعة الواقفة عند الواجهة فلم تتحرك ولم تلحظ هذا الاضطراب . وتقترب عربة الشرطة وهى تدق الجرس فى ضجيج كبير] .

[ستار]

المنظر السادس

[ليلة اليوم التالى ، صف من الزنزانات فى سجن جزيرة بلاكول ، تمتد الزنزانات إلى الوراء من مقدمة اليمين إلى مؤخرة اليسار ، ولا تتوقف بل تختفى فى الخلفية المظلمة كأنها تجرى بلا عدد وإلى ما لانهاية . أحد المصابيح الكهربية فى السقف المنخفض بالممر الضيق ينشر ضوءه خلال قضبان الصلب الثقيلة للزنزانة التى فى أقصى المقدمة . فيكشف جزءاً من الداخل حيث يرى يانك جاثيا على حافة صومعته متخذاً وضع « المفكر » لرودان ، ووجهه ملطخ بالبقع السوداء والزرقاء من أثر الكدمات ، ورباط التضميد ملفوف حول رأسه] .

يانك : [يتحرك فجأة كأنه يستيقظ من حلم ، يندفع ويهز القضبان ويخاطب نفسه بذهول وصوت مرتفع]

الصلب ! هذه هى حديقة الحيوان ، هيه ؟

[انفجار من الضحك الأجش الذى يشبه النباح يأتى من سكان الزنزانات الذين لا تمكن رؤيتهم ، يرتد إلى آخر الصف ثم يزول فجأة] .

أصوات : [بسخرية] حديقة الحيوان ؟ إنه لإسم جديد لهذا القفص . . . يا له من اسم ينطبق كل الانطباق !

الصلب ، هيه ؟ إن ما قلته لغط ، فهذا هو المنزل الحديدى القديم .

من هذا الأحمق الذى يتكلم ؟

إنه الشخص الذى جاءوا به مشدوداً من شعر رأسه . ضربته الثيران بقسوة .

يانك : [بغباء] لا بد أننى كنت أحلم . ظننت أننى فى قفص بحديقة الحيوان . . ولكن القردة لا تتكلم ، أليس كذلك ؟

أصوات : [بضحك ساخر]

إنك فى قفص حقيقى .

فى برميل !
فى ريشة !
فى حظيرة !
فى بيت الكلاب [ضحك أجش .. فترة صمت]
قل لنا أيها الرجـــل ولا تحاول أن
تكذب ، من أنت ؟ وماذا تكون ؟
نعم أخبرنا بقصـــتك الحزينة ،
ماذا جنيت ؟
ولماذا قبضوا عليك ؟

يانك : [بغباء] كنت أعمل وقاداً . . . أوقد
النار فى البواخر [ثم فى هيجان مفاجئ وهو
يهز قضبان زنزانته] إننى القرد الـــكثيف
الشعر ، أتفهمون ؟ سأحطم فكم جميعاً
إذا حاولتم أن تهزأوا بى .

أصوات : هيه ! إنك كالبطة الموضوعة فى ماء يغلى .
والتى تقفز عندما تموء ! [ضحك]
أوه ، إنه شاب منتظم ، ألست كذلك ؟
ماذا قال عن نفسه . . . قرد ؟

يانك : [متحديا] لا شك فى ذلك ! وأنتم ، ألستم جميعاً قردة ؟ [صمت ثم هز عنيف للقبضان فى آخر الممر]

أحد الأصوات : [بحماقة وهيجان] سأريك من هو القرد أيها الشريد !

أصوات : اسكت يا « نكس » !

إنه يحدث ضوضاء !

مهلا !

سوف تأتى لنا بالحارس !

يانك : [باحتقار] الحارس ؟ تقصد السجان ، أليس كذلك ؟ [صيحات غاضبة من جميع الزنزانات]

أحد الأصوات : [مهدئاً] أوه ، لا تعيروه التفاتا . إنه فقد رشده من جراء الضرب الذى أصابه . أيها الشاب إننا منتظرون لنسمع لماذا قبضوا عليك ؟ أم أنك سوف لا تقول ؟

يانك : لا شك أننى سأقول لكم ، لا شك !

ولم لا بحق الجحيم ؟ ولكنكم . . . لن تفهمونني . فلا يفهمني أحد سواى ، أتفهمونني ؟ حاولت أن أخبر القاضى بقصتى فكان كل ما قاله : « ثلاثون يوماً لكى يتأدب » يتأدب ! يا للمسيح ، أهذا كل ما كنت أعمل من أجله عدة أسابيع ؟ [بعد برهة] كنت أحاول أن أنال من شخص ما ، هل تفهمون ؟ شخص ما هو الذى جعل منى أحمق .

أصوات : [بسخرية] أراهن أنك عجوز تافه ، هيه ؟
إنك تحاول أن تخدعنا ، هيه ؟
ذلك شأنهم فى كل وقت ؟
هل تغلبت على الشخص الآخر ؟

يانك : أوه ، إنكم جميعاً مخطئون ! لا شك أن المسألة كانت فيها فتاة ، ولكنها ليست من النوع الذى تظنون ، ليست من تلك العينة القديمة . كانت فتاة من نوع

جديد . ترتدى ثوبا أبيض ... فى فتحة الفرن . وظننت أنها شبح بلا شك
[فترة صمت]

أصوات [بهمس] لا يزال أبله . دعه يهذى . من الظريف أن نستمع .

يانك : [بلا مبالاة مستدعياً أفكاره] يدها كانت هزيلة بيضاء كأنها ليست حقيقية بل مرسومة على شيء ما . وبينى وبينها مليون من الأميال ... خمس وعشرون عقدة فى الساعة . ولا شك أنها كانت كالجثة الشاحبة ، أو القطة الوليدة . إنها غير أصيلة ، أو هى أصيلة فى نافذة مخزن دمى أو على قمة صندوق قمامة . ألستم معى ؟ بلا شك [ينفجر غاضباً] ولكن هل تصدقون أنها كانت لديها القدرة على أن تجعلنى من الحمقى . نظرت إلىّ كأنها ترى شخصا هاربا من حظيرة الوحوش .

يا للمسيح ، إنكم لم تروا عينيها !
[يهز قضبان زنزانته بعنف] ولكنى سأرجع إليها ، ولتكونوا شاهدين ! وإذا لم أتمكن من العثور عليها ، أغتصبها من العصابة التى تعمل معها . إننى أعرف أين يتسكعون الآن . سأريها من منا الأصيل ! من الذى يتحرك ومن الذى لا يتحرك ! ولتشهدوا على ما أقول ! راقبوا مجرى دخانى !

أصوات : [بجد ومزاح] .
هذا هو الكلام !
خذها بكل ما جنت !
على أية حال ، ماذا كانت هذه السيدة ؟
ومن هى ؟

يانك : لا أعرف . . . ، إلا أنها من ركاب الدرجة الأولى ، وأبوها مليونير على ما يقولون .. اسمه دوجلاس .

أصوات : دوجلاس ؟ أراهن على أنه رئيس اتحاد الصلب .
لا شك ، رأيت صورته فى الصحف .
إنه قذر هو وثروته .

أحد الأصوات : هيه ، أيها الرفيق ، خذ منى نصيحة ، إذا أردت أن ترجع إلى هذه السيدة يحسن بك أن تتصل « بالوبلز » ، حينئذ تستطيع أن تفعل شيئا .

يانك : وبلز ؟ وما هذا بحق الجحيم ؟

الصوت : ألم تسمع أبدا بمنظمة « العمال الصناعيين فى العالم » ؟

يانك : كلا ، وماذا تكون ؟

الصوت : جماعة من العمال . . . جماعة قوية قرأت عنهم اليوم فى الصحف . أعطانى الحارس « الصنداى تايمس » وفيها كلام كثير عنهم ، مأخوذ من خطبة ألقاها فى مجلس الشيوخ شخص يدعى السناتور كوين .

[يتكلم من الزنزانة التالية ليانك ، وتسمع خشخشة الجريدة] انتظر لأرى إذا كان عندى من الضوء ما يكفى لكى أقرأ لك . استمع . [يقرأ] « يوجد اليوم فى هذا البلد خطر يتهـــدد حياة جمهوريتنا العادلة . . . وإنه لفضيحة أن يكون هناك تهديد لأهم قوام حياة النسر الأمريكى ، كما كانت مؤامرة «كتالين» القذرة ضد نسور روما القديمة » !

أحد الأصوات : [باشمئزاز] أوه ، يا للجحيم ! قل
: له أن يملح ذيل النسر !

الصوت : [يقرأ] « وأنا أعزو إلى الشيطان تحريض المحتالين ، ومحترفى الإجرام ، والمغتالين ، والقتلة الذين يطعنون فى كل العمال الشرفاء بتسمية أنفسهم « العمال الصناعيون فى العالم » ولكنى

فى ضوء مؤامراتهم البشعة أسميهم « العمال المخربون فى العالم » .

يانك : [بارتياح الآخذ بالثأر] مخربون ، هذا هو الكلام الصحيح ! وهؤلاء هم الأصلاء ! إننى معهم !

الصوت : سكوت ! [يقرأ] « وإن هذه المنظمة الشيطانية لقرحة دميمة فى بدن ديمقراطيتنا الجميل . . . »

أحد الأصوات : لتذهب الديمقراطية الأمريكية إلى الجحيم !

الصوت : سكوت ! [يقرأ] « وكما فعل « كاتو » ، أقول لمجلس الشيوخ إنه يجب القضاء على منظمة « العمال الصناعيين فى العالم » ! لأنهم يمثلون فى الوقت الحاضر الخنجر المصوب إلى قلب أعظم أمة عرفها العالم ، حيث يولد الناس أحرارا متساوين وتتاح الفرص للجميع ، وحيث الآباء

المؤسسون قد كفلوا لكل فرد السعادة ،
وحيث الصدق والشرف والحرية
والعدالة والإخاء ، دين يمتصه الإنسان
مع لبن أمه ، ويتعلمه على ركبة أبيه ،
ويراه مختوما وموقعا ومطبوعا على
صفحة الدستور المجيد لهذه الولايات
المتحدة » ! [عاصفة كاملة من الفحيح ،
والصفير ، والأزيز ، والضحك الأجش] .

أصوات : [فى سخرية] عاش اليوم الرابع من
يوليو !
تقاذفوا القبعات !
الحرية !
العدالة !
الشرف !
الفُرص !
الإخاء !

الجميع : [بازدراء مطبق] أوه ، يا للجحيم !

أحد الأصوات : هيا نعطى السناتور كوين شيئاً من النباح !
كلنا الآن .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .

[كورس مفزع من النباح والعواء]

الحارس : [من بعيد] الزموا الهدوء هناك . . . .
وإلا فسأحضر الخرطوم . [تهدأ الضوضاء] .

يانك : [بصياح هائج] أريد أن أمسك هذا السناتور وأنفرد به لحظة واحدة . أريد أن أعطيه بعض ما يستحق !

الصوت : سكوت ! إليك ما يدعيه على هذه الجماعة من العمال [يقرأ] « إنهم يتآمرون بالحديد فى يد والنار فى اليد الأخرى ، ولا يتورعون عن القتل ولا عن انتهاك حرمات النساء فى سبيل تحقيق أغراضهم . إنهم يقوضون صرح المجتمع ، ويضعون القاذورات فى مقاعد ذوى السلطان ، ويسألون العلى القدير أن يمدهم بخطة لقلب العالم رأساً على عقب ، وبذلك

يجعلون من حضارتنا الحلوة الجميلة مذبحاً وخراباً ، حيث الإنسان ، تحفة الخلق الإلهى ، سرعان ما ينحل ويعود إلى مرحلة القرد » !

أحد الأصوات : [مخاطباً يانك] هيه ، أيها الشاب ، لقد عاد قردك القبيح .

يانك : [بصيحة هائجة] إذن فهمته ، إنهم يكيلون لنا الضربات ، أليس كذلك ؟ ويغيرون وجه الأمور ، أليس كذلك ؟ هيه ، ألا تعيرنى هذه الجريدة ؟

أحد الأصوات : بالتأكيد .. أعطها له . على أن تحتفظ بها لنفسك ، فنحن لا نريد أن نستمع إلى المزيد من هذا الخداع .

أحد الأصوات : إليك الجريدة واخفها تحت فراشك .

يانك : [يتناولها] شكرا ، فأنا لا أقرأ كثيراً ولكنى أستطيع أن أتصرف [يجلس والجريدة فى يده متخذاً وضع « المفكر » لرودان . وبعد برهة تنطلق من آخر الممر عدة قهقهات ، ، فجأة

يقفز يانك على قدميه بتأوه عنيف كأن بعض الأفكار المفزعة طرأت عليه . . . وبارتباك]
لا شك أن والدها العجوز .. رئيس اتحاد الصلب . . الذى ينتج نصف ما فى العالم من الصلب .. الصلب الذى كنت أظن أننى أنتمى إليه .. يمخر .. ويتحرك .. على هذا النحو .. فيصنعها « هى » ويحبسنى « أنا » لكى تبصق على ! يا للمسيح . [يرج قضبان باب زنزانته حتى يهتز الصف كله . فتتعالى صيحات التهيج والاحتجاج من المستيقظين أو الذين يحاولون أن يناموا] . لقد صنع هذا .. هذا القفص ! الصلب ! إنه غير أصيل ، هذا كل ما فى الأمر ! الأقفاص ، الزنزانات ، الأقفال ، المزاليج ، القضبان ، هذا هو ما يعنيه ! قيدونى معه فى السارية ! ولكنى سأمخر عبابه ! وأشعل النار حتى أصهره ! سأشعل النار .. تحت الركام .. نار لا تنطفئ أبدا .. حارة

كالجحيم .. تتفجر فى جنح الليل ..

[وكان يرج باب زنزانته بمصاحبة صلصلة وهو يقول هذه العبارة الأخيرة ، وعندما يصل إلى كلمة « تتفجر » يمسك قضيباً بكلتا يديه ويضع قدميه إلى أعلى بإزاء القضبان الأخرى حتى يكون وضعه محاذياً للأرضية كأنه نسناس . ويعقص نفسه بعنف إلى الخلف فينثنى القضيب كالعصى اللينة أمام قوته الخارقة . وفى نفس هذه اللحظة يندفع حارس السجن وهو يجر خرطوماً وراءه] .

الحارس : [غاضبا] سوف أصلب عودكم فى نظير إيقاظى من النوم ! [يرى يانك] مرحى ، هو أنت ؟ حسنا ، سوف أعالجك ! سوف أغرق الثعابين التى تتلوى فى جوفك [يلاحظ القضيب] يا للهول ، انظروا إلى هذا القضيب المنثنى ! لا يقوى على ذلك إلا مارد جبار !

يانك : [محدقاً فيه] أو قرد كثيف الشعر ، أيتها

الكتلة الصفراء ! حذار ! إننى قادم !

[ينتزع قضيباً آخر]

الحارس : [وقد تملكه الفزع .. يصيح جهة اليسار] افتح الخرطوم يابن ! .. افتحه إلى الآخر ! واستدع الآخرين ... وقميص المجانين !

[تسدل الستار ، وإذا هى تخفى يانك عن الأنظار ينطلق رش رذاذ كأنه سيل من الماء ، ويرتطم بالصلب الذى فى زنزانة يانك] .

[ستار]

المنظر السابع

[بعد حوالى شهر ، بالقرب من الشاطئ ، أحد المكاتب المحلية لمنظمة « العمال الصناعيين فى العالم » . يظهر داخل غرفة أمامية فى الطابق الأرضى ، ومن خارجها الشارع . يبزغ ضوء القمر على الشارع الضيق ، وتتكتل المبانى فى الظل القاتم . أما داخل الغرفة والذى يشتمل بوجه عام على غرفة اجتماعات ومكتب وحجرة مطالعة فيشبه أحد أندية الأولاد القذرة . وفى أحد الأركان يوجد مكتب ومقعد مرتفع ، وفى الوسط منضدة عليها أوراق وأكداس من النشرات وحولها بعض الكراسى . وكل محتويات الغرفة تؤكد أنها رخيصة وتافهة وعادية ومألوفة على قدر الإمكان . يشاهد السكرتير منحنياً على المقعد يدون فى سجل كبير وقد غطت وجهه هالة من الظلال . ثمانية أو عشرة رجال منهم – الحمالون ، وعمال الحديد ، وأشباههم – مجتمعون حول

المائدة . اثنان منهم يلعبان الشطرنج ، وواحد يكتب خطابا ، وأغلبهم يدخنون « البيبة » . وعلى الحائط فى المؤخرة علقت لوحة كبيرة كتب عليها « العمال الصناعيون للعالم » – مكتب محلى رقم ٥٧ »] .

يانك : [يأتى من الشارع مرتدياً ملابس المنظر الخامس ، يتحرك بحذر وارتياب حتى يصل إلى موضع مواجه للباب فيتقدم نحوه على أطراف أصابعه . ويتسمع فيبدهه الصمت الذى فى الداخل ، فيطرق بعناية كأنه يخمن فى كلمة السر الخاصة بإحدى الخلايا السرية . ينصت . . ولا من جواب ، يدق ثانية دقاً عاليا . . . ولا من جواب ، فيدق بصبر نافد دقاً أعلى] .

السكرتير : [يستدير فى مقعده] ما هذا بحق الجحيم . . من بالباب ؟ [يصيح] أدخل ، لماذا لا تدخل ؟ [يتطلع جميع الرجال الذين فى الغرفة ، ويفتح يانك الباب ببطء وحذر كأنه خائف من كمين . ينظر حوله باحثاً عن أبواب سرية أو أحجية فيؤخذ بشعبية الغرفة ومن فيها من الرجال ، ويظن أنه ربما أخطأ المكان ، ثم يرى اللوحة المعلقة على الحائط فيطمئن] .

يانك : [باندفاع] أهلاً !

الرجال : [بتحفظ] أهلاً !

يانك : [بارتياح أكثر] ظننت أننى أخطأت المكان .

السكرتير : (يتفحصه بعناية) ربما ، هل أنت عضو ؟

يانك : لا ! لست عضوا بعد . وهذا ما جئت من أجله ... لألتحق .

السكرتير : إنه لأمر بسيط . ما مهنتك ... حمال ؟

يانك : لا ! وقاد ... أوقد النار فى البواخر .

السكرتير : [بارتياح] أهلا بك ، ويسرنى أن أعرف أنكم أخيرا بدأتم تتيقظون . فليس عندنا أعضاء كثيرون من مهنتك .

يانك : لا ! فإنهم جميعاً أموات بالنسبة إلى العالم .

السكرتير : حسنا ، يمكنك أن تساهم فى إيقاظهم . ما اسمك ؟ سأستخرج لك بطاقة .

يانك : [مرتبكا] اسمى ؟ دعنى أتذكر ؟

السكرتير : [بحدة] ألا تعرف اسمك ؟

يانك : لا شك ولكنى ظللت مدة طويلة معروفاً باسم يانك . . . بوب . . . ذلك هو اسمى . . بوب سميث .

السكرتير : [وهو يكتب] روبرت سميث [يملأ بقية البطاقة] إليك البطاقة ، تكلفك نصف دولار .

يانك : أهذا كل ما فى الأمر . . أربع قطع صغيرة ؟ ياله من أمر هين . [يعطى النقود للسكرتير]

السكرتير : [وهو يلقى بها فى الدرج] شكراً ، والآن اعتبر نفسك فى بيتك فليس هناك ما يدعو للتعارف ، وهناك مطبوعات على المائدة فخذ معك بعض النشرات ووزعها على ظهر السفينة ، فقد تأتى بفائدة ! فما عليك إلا أن تبذر الحبوب وتتعهدها بالطريقة الصحيحة . واحرص على ألا يقبض عليك أو تفصل فعندنا

كثير من المتعطلين ، وما نحتاج إليه رجال يستطيعون المحافظة على أعمالهم ويعملون من أجلنا فى نفس الوقت .

يانك : لاشك [ولكنه يظل فى ارتباك وعدم ارتياح] .

السكرتير : [ينظر إليه . . . باستغراب] لماذا طرقت الباب ؟ أكنت تظن أن لدينا بواباً فى حلة رسمية لفتح الباب ؟

يانك : لا ، بل ظننت أنه مغلق . . . وأنكم تريدون أن تنظروا إلىّ أو ينظر إلى أحدكم ليتأكد من أنه لاغبار علىّ .

السكرتير : [متحفزاً ومرتاباً ولكن بابتسامة هادئة] كنت تظن أننا نقوم بلعبة غير مشروعة ؟ إن هذا الباب لا يغلق أبدا ، فمن الذى وضع هذا فى رأسك .

يانك : [بابتسامة متعالمة ، مقتنعاً بأن ذلك كله تمويه

وجزء من التستر] هذا البلد ملىء بالثيران ، أليس كذلك ؟

السكرتير : [بحدة] ماذا تستطيع الشرطة أن تفعل بنا ؟ إننا لا نخرق القوانين .

يانك : [بغمزة متعالمة] لا شك أنكم لن تفعلوا هذا بأى حال ، ولا شك أننى أعلم ذلك .

السكرتير : يبدو أنك على علم بأشياء كثيرة لا نعلمها نحن .

يانك : [بغمزة أخرى] ، هذا كله صحيح .
[ثم يشعر بشىء من الضيق للنظرات المرتابة من كل جانب] أوه ، لا داعى لأن تضعونى فى فترة الاختبار . ألا ترون أننى أصيل ؟ لا شك ، فإننى منتظم ، وسأظل منتظما ، أتفهمون ؟ وسأوزع المنشورات من أجلكم ، ولهذا أردت أن ألتحق بكم .

السكرتير : [وهو يستدرجه بهوادة] تلك هى الروح الصادقة . ولكن هل أنت متأكد أنك فاهم الهيئة التى انتسبت إليها ؟ إنها بسيطة وعلانية ولكن البعض يظن بها الظنون [بجدة] ما فكرتك عن أغراض منظمة (العمال الصناعيين فى العالم) ؟

يانك : أوه إننى أعرف عنها كل شىء .

السكرتير : [بسخرية] حسنا فاعطنا إذن شيئا من معلوماتك القيمة .

يانك : [بدهاء] إننى أعلم ما يكفى لكى أمتنع عن الكلام [ثم متبرماً للمرة الثانية] أوه ، إسمع ! إننى منتظم وعلى علم باللعبة ، وأعلم أنه يجب عليكم أن تتلمسوا خطواتكم مع الغرباء ، لأننى كما تعلمون جميعا ربما كنت مخبرا فى ثياب عادية أو شيئاً من هذا القبيل ، أليس هذا ما تفكرون فيه ، هه ؟ أوه لننس هذا ! فإننى أصيل

وأسأل عنى أى واحد فى المرفأ إن كنت
أصيلا أم لا .

السكرتير : ومن قال إنك لست أصيلا ؟

يانك : سأريكم بعدما أبدأ .

السكرتير : [مندهشاً] تبدأ ؟المسألة ليس فيها ابتداء .

يانك : [بخيبة أمل] أليس هناك كلمة سر ... أو علامة أو أى شيء آخر ؟

السكرتير : ماذا تظن فى هذه الهيئة .. أتظنها «الإلك» ، أو اليد السوداء ؟

يانك : لتذهب «الإلك» إلى الجحيم ! واليد السوداء ! إنهم جماعة من الشياطين الصفر . أما هذه الهيئة فعصبة من الرجال ، أليس كذلك ؟

السكرتير : لقد قلتها ! ولهذا نقف على أرجلنا فى وضح النهار ، فليس عندنا أسرار .

يانك : [مندهشاً ولكن معجباً] تريد أن تقول إنكم تعملون دائما فى وضح النهار ... هكذا ؟

السكرتير : بالضبط .

يانك : إذن فلا ريب أنكم تحتفظون بأعصابكم .

السكرتير : [بحدة] ما الذى جعلك تنتسب إلينا بالتحديد ؟ افصح عنه بصراحة .

يانك : هل تريد ذلك ؟ حسنا ، فإن لدى أعصاباً أنا الآخر ! وإليك يدى . أنت تريد أن تنسف الأوضاع ، وأنا أريد ذلك أيضا فإننى أصيل !

السكرتير : [مدعياً عدم الاكتراث] تقصد تغيير الفوارق الاجتماعية بالعمل الشرعى المباشر ... أم بالديناميت ؟

يانك : بالديناميت ! بنسفها من على وجه الأرض ... الصلب ... وكل الأقفاص ... وكل المصانع ، والبواخر ، والمبانى ، والسجون ، واتحاد الصلب ، وكل ما يجعلها تستمر .

السكرتير : إذن ، فتلك هى فكرتك ، هه ؟ وهل لك نشاط خاص فى هذا الطريق الذى

تقترحه علينا ؟ [يشير إلى الرجال الذين ينهضون بحذر واحداً تلو الآخر ويتجمعون خلف يانك] .

يانك : [بجرأة] ، لا شك ، وسوف أصرح لكم ، سأريكم أننى واحد من العصابة . فهذا المليونير ، دوجلاس .

السكرتير : تقصد مدير اتحاد الصلب ؟ هل تريد أن تغتاله ؟

يانك : لا ، فهذا لا يعود عليك بشىء ، وإنما أريد نسف المصنع والمبانى التى يصنع فيها الصلب ، ذلك هو ما أسعى وراءه ... أن أنسف الصلب ، إن أقذف إلى القمر بكل الصلب الذى فى العالم وبذلك يستقر كل شىء ! [بحماسة وبمس من الخيلاء] سأفعل ذلك وحدى وسأريكم ! أخبرونى أين هى المصانع وكيف أصل إليها ، وأين الديناميت . أعطونى المواد ، وكل ما يلزم ... وانظروا إلى وأنا أقوم بعمل

الباقى ! انظروا إلى الدخان وهو يتصاعد ! لن يهمنى شىء إذا قبضوا على .. ما دمت حققت الغرض ! إننى على استعداد أن أسجن من أجله مدى الحياة ... وأضحك منهم [كأنه يخاطب نفسه] وسأكتب لها خطابا وأخبرها أن الذى فعل ذلك هو القرد الكثيف الشعر . وبذلك تتوازن الأمور .

السكرتير : [وهو يخطو مبتعداً عن يانك] مدهش جداً . [يعطى إشـارة ، فينزع الرجال ملابسهم ويلقون بأنفسهم على يانك . وقبل أن يدرك حقيقة الأمر يكونون قد قيدوا يديه ورجليه ، ومع ذلك فهو فى حالة من الدهشة لا تسمح له بالصراع . يفتشونه فيجدون أنه أعزل من السلاح] .

أحد الرجال : لا مسدس ولا سـكين . هل نعطيه ما يستحق ، ونعمل فيه الحذاء ؟

السكرتير : لا فإنه لا يستحق ما يجره علينا من

المتاعب إنه أغبى من ذلك [يقترب من يانك ويضحك فى وجهه ساخراً] هوه .. هوه! والله إنها لأكبر مهزلة أرسلوها إلينا حتى الآن . وأنت أيها المهزلة ! من الذى أرسلك ؟.. «بيرنز» أم «بنكرتون» ؟ كلا ، فوالله إنك لذى رأس عظمى توحى بأنك من المخابرات السرية ! حسناً ، أيها الجاسوس القذر ، أيها العميل المهيج العفن ، تستطيع أن ترجع الآن وتخبر الحيوان الذى يؤجرك على خيانة إخوانك أنه إنما يضيع أمواله هباء . وأرجو ألا ترتعد من الخوف وأخبره أيضاً أن كل ما سيعلمه عنا ، وكل ما علمه من قبل لا يعدو المؤامرات الحقيرة التى دبرها لكى يلقى بنا فى غياهب السجون . ونحن كما نحن فى بياننا لا أكثر ولا أقل ،

وعلى استعداد لأن نعطيه نسخة منه فى أى وقت يشاء . أما أنت .. [يحملق باحتقار فى يانك الذى راح فى غيبوبة من الدهشة] أوه ، بحق الجحيم ، ما فائدة الكلام ؟ إنك قرد خالى المخ .

يانك : [تستحثه الكلمة على القتال ولكن بلا جدوى] ماذا تقول ، أيها المخادع الحقير !

السكرتير : ألقوه فى الخارج ! [وبالرغم من مقاومته ، يحدث هذا فى هرج ومرج . ويستقر يانك بعد أن دحرجته بضع رفسات وداعية فى وسط الشارع الضيق يزمجر ، ويحاول النهوض لكى يقتحم الباب المغلق ولكنه يتوقف حائراً متخبطاً لما أصابه من عجز مرضى ، ولما فى ذهنه من اضطراب . ويجلس هنالك منحنياً فى وضع قريب جداً من وضع « المفكر » لرودان ، بقدر ما تسمح له حالته] .

يانك : [بمرارة] حتى هذه الجوارح تظن أننى غير أصيل . أوه ، فليذهبوا إلى الجحيم! إنهم على النهج الخاطئ . . نفس النهج

القديم .. صناديق الصابون وجيش الخلاص !
أنقصوا ساعات العمل ساعة فى اليوم
وأنا أكون سعيداً ! ارفعوا أجرى
دولارا فى اليوم وأنا أكون سعيداً !
ثلاثة دولارات فى اليوم ، وقرنبيط فى
الحديقة ، وحقوق متساوية ، وامرأة
وأطفال ، وصوت حقير فى الانتخابات
وبعد هذا كله صلاة للمسيح ، هه ؟
أوه ، يا للجحيم ! ما الذى يعود عليكم
من هذا ؟ إنه فى ضمائركم وليس فى
بطونكم ، وما تغذون به رءوسكم
من القهوة والخمور لا يلمسه . إنه
بعيد فى القاع لا يستطيع أن تمسكه ،
ولا تستطيع أن توقفه ، إنه يتحرك
فيتحرك كل شى ، ويقف فيقف العالم
أجمع . ذلك هو أنا الآن .. إننى
لا أخادع هل تفهمون ؟ كنت الصلب
فملكت العالم ، ولم أعد صلبا فملكنى

العالم . أوه يا للجحيم ! لا أستطيع أن أرى .. إن كل شيء مظلم ، إن كل شيء خطأ ! [يدير وجهاً هازئاً مريراً كأنه قرد يهذى للقمر] قل لى يا من فى علاك ، أيها الرجل على وجه القمر ، إنك تبدو حكيما ، فهل أجد عندك الجواب ؟ اسكب فى داخلى الحكمة والمعلومات الصحيحة .. وقل لى من أين أبدأ ؟

أحد رجال الشرطة : [يأتى من أول الطريق فى الوقت الذى يسمع فيه هذه الكلمة الأخيرة . بسخرية قاسية] سنبدأ من مركز الشرطة ، أيها الغبى ، إذا لم تنهض وتتحرك حالا .

يانك : [يتطلع إليه .. بضحكة مريرة قاسية] بالتأكيد ، تسحبنى أو تضعنى فى قفص ! هذا هو الجواب الوحيد الذى تعرفه ! هيا اسحبنى !

الشرطى : ماذا كنت تفعل ؟

يانك : ما يكفى لكى أستحق الحياة ! لقد ولدت ، وهذه بالتأكيد هى تهمتى ! فاكتبها فى السجل ، ولدت أتفهمنى ؟

الشرطى : [فى مرح] رحم الله أمك العجوز ! [ثم وكأنه يقرر وقائع] ولكنى لا أملك وقتا للمزاج . وأنت سكران . وأستطيع أن أجرك ولكن المسافة إلى المركز طويلة . فانهض الآن وإلا أنفض أذنيك بهذه الهراوة .. هيا ..

[يوقف يانك على قدميه]

يانك : [فى نغمة ساخرة غامضة] قل لى إلى أين أذهب ؟

الشرطى : [يدفعه ، وبتكشيرة ليس فيها مبالاة] اذهب إلى الجحيم .

[ستار]

المنظر الثامن

[وقت الشفق فى اليوم التالى ، بيت النسـانيس فى حديقة الحيوان . تقع نقطة من الضوء الرمادى الناصع على واجهة أحد الأقفاص فتظهر ما بداخله ، أما الأقفاص الأخرى فعتمة ، تلفها الظلال ، ويتصاعد منها ثرثرة تسمع فى نغمة الحوار . وعلى القفص المضىء علقت لافتة برزت عليها كلمة « غوريلا » . يرى الحيوان الضخم نفسه قاعداً القرفصاء على أريكة فى وضع يشبه كثيراً وضع تمثال « المفكر » لرودان . يدخل يانك من اليسار فتنطلق فى الحال جوقة من الصياح والصراخ ، ويدير الغوريلا عينيه من غير أن يصدر صوتاً ولا حركة] .

يانك : [بضحكة مريرة قاسية] مرحبـاً بى فى مدينتكم ، هه ؟ أهلا ، أهلا ، العصابة

كلهـا هنا ! [وعند سماع صوته يتلاشى التصايح فى صمت مصحوب بالانتباه . يتقدم يانك نحو قفص الغوريللا ، ويميل على قضبانه ، ويحدق فى ساكنه الذى يحدق فيه بدوره فى صمت وسكون . فترة من سكون الموات بعدها يبدأ يانك فى الكلام بنغمة ودية واثقة فيها شىء من السخرية ولكن فى طياتها شعوراً عميقاً بالتعاطف]

قل لى ، إنك شخص ذو منظر بشع أليس كذلك ؟ لقد رأيت كثيرين من ذوى الرؤوس الناشفة ممن يسمونهم غوريللا ، ولكنك أنت أول غوريللا حقيقى أراه . إن لك الصدر والأكتاف ولهم الأذرع والخصال ! [يقول هذا بإعجاب خالص ويقف الغوريللا مستقيماً كأنه فهم ، وينفخ صدره ويضرب عليه بجمع يده ،فيبتسم يانك بعطف] لا شك أننى فهمتك . إنك تتحدى العالم أجمع ، هه ؟ لقد عبرت عما كنت أقوله وإن لم تستطع الكلام . [تتسرب إليه المرارة] ولكن ، لماذا لا تفهمنى ؟ ألسنا معا أعضاء

فى نفس المنتدى ... منتدى القردة كثيفة الشعر ؟ [يحدق كل منهما فى الآخر – وبعد برهة يستطرد يانك فى بطء ومرارة] إذن فأنت الذى رأته حينما نظرت إلىّ تلك الفطيرة الشاحبة ! كنت عندها أنت ، أتفهمنى ؟ خارج القفص فقط .. هارب .. حر أستطيع أن أقتلها ، أتفهمنى ؟ لا شك أن ذلك ما كانت تظنه وما كانت تعلم أننى أيضا كنت فى قفص .. قفص أسوأ من قفصك .. لا شك أنه منظر كئيب .. لأن عندك فرصة للهرب على الأقل .. أما أنا .. [يزداد ارتباكاً] أوه يا للجحيم ! كل شىء خطأ أليس كذلك ؟ [فترة صمت] أظنك تريد أن تعرف لماذا أتيت إلى هنا ، هه ؟ لقد وجدت هنا أدفأ أريكة ... منذ الليلة الماضية ، ذلك حق لا ريب فيه . ورأيت الشمس تشرق ...

كانت جميلة أيضا .. كلها حمراء ووردية وخضراء . وكنت أنظر إلى ناطحات السحاب .. والصلب .. والسفن الداخلة والخارجة إلى أنحاء العالم .. وكلها أيضا من الصلب . وكانت الشمس دافئة ، ولم تكن هناك غيوم ، بل كان هناك نسيم . حقا كان شيئا عظيما ، وكنت معه على ما يرام .. ذلك ما كان يقول عنه بادى إنه المزاج الصحيح إلا أنى لم أندمج فيه أتفهمنى ؟ فى ذلك لم أستطع أن أكون أصيلا ، لأنه كان فوق ما احتمل .. وظللت أفكر .. حتى خطر لى أن أرى على أى صورة تكون ، فانتظرت حتى انقضى النهار تماما لكى أحظى بك وحدك . قل لى ، ما شعورك عندما تجلس فى هذا الجحر طوال الوقت ، وتضطر إلى الوقوف للقادمين الذين يحدقون فيك :٥

القطائر الهزيلة الشاحبة ، والأغبياء الذين يتزوجونهن يهزأون بك ، ويضحكون عليك ، ويخافون منك .. عليهم لعنة الله !

[يدق بقبضته على السياج فيهز الغوريللا قضبان قفصه ، ويزمجر فترسل جميع النسانيس الأخرى صيحات غاضبة فى الظلام ، ويستمر يانك فى حماس]

لا شك أن ذلك ما تراءى لى أيضا ، إلا أنك محظوظ ، إنك لا تنتمى إليهم وأنت تعلم ذلك ، أما أنا فأنتمى إليهم ولكنى لا أفعل مثلهم ألا ترى ؟ إنهم لاينتمون إلى ، هذا كل ما فى الأمر ، ألا تفهمنى ؟ التفكير أمر شاق ..

[يمر بإحدى يديه على جبهته فى حركة أليمة فيزمجر الغوريللا بصبر نافد ، ويستطرد يانك متحسساً أفكاره]

هذه هى الطريقة التى أبحث عنها ، إنك تستطيع أن تجلس وتحلم بالماضى والغابات الخضر والأحراش وبقية هذه الأشياء . هنالك تستطيع أن تنتمى وهم لايستطيعون ،

هنالك تكون أنت الأصـــيل وهم لا يكونون ، هنالك تستطيع أن تضحك منهم فأنت بطل العالم . أما أنا فليس لى ماض أفكر فيه ولا مستقبل أحلم به ، بل الحاضر فقط .. وهو شىء غير أصيل . ولا شك أنك أنت الأحسن ! لأنك لا تستطيع أن تفـــكر ، أم أنك تستطيع ؟ ولا تملك أن تتكلم ، أما أنا فأستطيع أن أخادع بالحديث والتفكير .. وغالبا ما أحصل على هدفى ، غالبا ! .. ومن هنا تأتى المهزلة . [يضحك] أنا لست على الأرض ولا فى السماء أتفهمنى؟ إننى فى الوسط أحاول أن أفصل بينهما متلقيا منهما معا أعنف اللطمات . وربما كان ذلك هو ما يسمونه بالجحيم ، هه ؟ أما أنت فإنك فى القاع ، إنك أصيل ! لاشك أيّها الكتلة المحظوظة إنك أنت الأصيل الوحيد فى العالم ! [يزأر الغوريلا فخوراً] وهذا ما يجعلهم يضعونك

فى قفص أتفهمنى ؟ [يزمجر الغوريللا غاضباً]
لاشك ! إنك تفهمنى ! وإنه لمن الصعب
أن تحاول التفكير فيها أو التعبير عنها .
إنها هناك ، بعيدة .. عميقة ..
متخلفة .. أنت وأنا نشعر بها ولا ريب
فكلانا عضو فى هـذا المنتدى !
[يضحك .. ثم فى لهجة متوحشة] ماذا بحق
الجحيم ! لتذهب إلى الجحيم ! قليل من
النشاط ، ذلك هو غذاؤنا وإن ذلك
لأصيل ! اطرحهم أرضا واضربهم
حتى يكسروك بالحديد .. بالصلب ..
لا شك ! فهل أنت تسلية ؟ هل ينظرون
إليك .. فى قفص ؟ ألا تريد أن تنتقم ؟
ألا تريد أن تنطلق فى رياضة وجرى بدلا
من الغناء البطىء هنا ؟ [يزأر الغوريللا فى
موافقة مؤكدة ، ويستطرد يانك فى نوع من النشوة
المتدفقة] لا شك ! إنك منتظم ! وستظل
متماسكا حتى النهاية ! أنا وأنت ، هه ؟
كلانا عضو فى هذا المنتدى ! وسنقوم

بآخر محاولة تقذف بهم من مقاعدهم !
وسيرغمون على صنع أقفاص أقوى بعد ما نهرب !

[يدق الغوريللا على قضبان قفصه وهو يزمجر متكئاً على إحدى قدميه ثم على الأخرى . يستخرج يانك من طيات سترته مخلاعاً ويكسر به القفل الذى على باب القفص ، ثم يفتح الباب على مصراعيه]
معذرة للمدير ! اخرج وصافحنى !
سآخذك فى نزهة إلى الشارع الخامس ، وسنقذف بهم من مقاعدهم ، ونحطم فرقة المهرجين . هيا يا أخى . [يخرج الغوريللا برفق من القفص ويذهب إلى يانك ويقف ناظراً إليه . يحتفظ يانك بلهجته الساخرة .. ويمد يده مصافحاً] صافح . . . العلامة السرية لخطتنا ! [يتهيج الحيوان فجأة لسبب ما ، ربما كان لهجة يانك الساخرة ، وفى قفزة واحدة يمد يديه الهائلتين حول يانك فى عناق قاتل . تسمع طقطقة تكسير وتحطيم الضلوع ، وصيحة متحشرجة من يانك ولكنها لا زالت

ساخرة] . هي ، لم أقل لك قبلني !

[يترك الغوريللا الجسم الهشيم ينزلق إلى الأرض ويقف عليه حائراً متدبراً. ثم يلتقطه ويلقى به فى القفص ويغلق الباب ويدلف من اليسار مهدداً فى الظلام . يتصاعد من الأقفاص الأخرى ضجيج هائل من الصراخ الخائف والصياح المتقطع ثم يتحرك يانك متأوهاً وهو يفتح عينيه . ويسود السكون فيغمغم متألماً] أوه ... يجب أن يلحقوا به ...

لقد انتصر عليّ بلا نزاع ، لقد هزمت !

حتى هو لا يظن أننى أصيل [ثم فى يأس منفعل مفاجئ] ياللمسيح ، من أين لى أن أبدأ ؟ وفى أى مكان أتلاءم ؟ [يكبح جماح نفسه بشكل مفاجئ أيضاً] أوه يا للجحيم !

لا اعتراض أترى ؟ ولا خروج أتفهمنى ؟

إذن فلتضرب نفسك بحذائك ! [يمسك قضبان القفص ، ويرفع نفسه فى ألم ، وينظر حوله فى ارتباك ، ويغتصب ضحكة ساخرة] وأخيراً

فى القفص ، هه ؟ [وفى نغمات مطوطة كنداء

السيرك] سيداتى سادتى .. تقدموا خطوة إلى الأمام ، وانظروا إلى الواحد الوحيد ... [يضعف صوته] ... الواحد الأصيل ... القرد الكثيف الشعر ... الآتى من مجاهل ..

[ينزلق فى كومة على الأرض ويموت ، وتتصايح النسانيس فى عويل خافت حزين إذ ربما قد انتمى إليها أخيراً القرد الكثيف الشعر] .

[ستـــار]

القـــاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٦٢